سارة البدري
فعل حب
الرواق للنشر والتوزيع

فعل حب
سارة البدري

فعل حب
سارة البدري
الغلاف : كريم آدم
تصحيح لغوي : محمد حمدى ابو السعود
الترقيم الدولي : **9789775153913**

جميع حقوق النشر محفوظة للرواق النشر و التوزيع

186 عمارات امتداد رمسيس 2 - أمام أرض المعارض - مدينة نصر
هاتف: 0220812006
rewaq2011@gmail.com
facebook.com/Rewaq.Publishing

للنشر والتوزيع

قد يكون فعل الجسد في ظرف ما مع شخص ما مُحرمًا..

أما فعل الحب فلا يصوب أو يخطئ..

وبين الفعلين جنات وجحيم.

المؤلفة

إهـــداء

إلى من أخبرتهم أنه حينما يلتقي الإنسان من يحبه، فإنه يحب نفسه..
ونحن في أمس الحاجة لنحب أنفسنا..
إلى كل وليف يبحث عن السعادة.. والطريق عثر،
أهدي لكم هذه المجموعة.

* * *

عمق امتناني وتقديري لأعضاء نادي القصة الكرام جميعا،
وعلى رأسهم:
الأديب المهندس الحبيب إلى قلبي.. **الأستاذ محمد محرم**.

نظرة رضا

حوض السمك.. تريد أن تعرف ما قصته؟

كنت جالسةً على الكرسي، أضم ساقيّ أمام بطني، ورأسي فوقه يموج.

سقط بصري عليه.. حوض جميل لم ألحظ جماله قبلا، في داخله سمكتان ذهبيتان.. رشيقتان هما، سريعتان، لا تهدآن. عرفتُ سريعا مَن الذكر ومَن الأنثى، ليس لأن الذكر أكثر ألوانا، ولا لأن الأنثى أكبر حجما فقط. بل ها هو يشاكسها.. ها هو يلهث خلفها دون توان، ينغز ذيلها ليجذبها، وهي تهرب، تتمنع، واللـه يعلم ما في قلبها!

وأعلم أنك لن تصدقني.. ولا يهمني أن تصدقني، لكني سمعت صوتهما.. بدا غريبا لكنه مفهوم. فهمت منه هو نداء، وفهمت منها ضحكات.. ضحكات هائجات تلهب النداء وتجعله توسلاً!

ـ إيه اللي حصل؟! ماما! ماما! حصل لك حاجة؟

قال طفلي ينظر للزجاج المنثور، والماء من تحته قد أغرق الأرض، وأنا أنظر برضاً للسمكتين.. ترتجفان وتنتفضان، لكن تلك المرة.. بحثا عن الحياة!

المحظوظ

من سيكون إن لم يكن هو؟

السنون تمر، كلنا تغيرنا، ثقل الضحك، وزاد الحمل. كلنا أصبحنا نسمع الكلمة التي ظنناها سحرية بما يكفينا: «بابا»، وكلنا التحقنا بالساقية.

لكنه لم يلتحق!
تغير كما تغيرنا، لكن ليس مثلنا.. ضحكته الراضية، تلهب الجميع، ليس وحدي.

التقينا جميعا داخل المطعم.
أطفاله الأذكياء، الرائعون، اللامعون، أثرها عليهم واضح.
كلما نظرنا إليها اجتاحنا نفس السؤال: لماذا هو؟
كان لديه نفس شواربنا الساذجة، منطفئا، منسيا، لا نذكر له علامة.
هي؟ علامة كبيرة لا تُترك دون تمنّ. فلماذا اختارته؟
لا نعرف إجابة السؤال، لكننا نعرف أنه محظوظ.
قلت لزوجتي فجأة:
ـ مش هاتبطلي تلبسي الچيبة الچينز دي! ماعندكيش غيرها؟
نظرت لي نفس نظرتها التي يمتزج فيها الغضب بالدهشة، وولت وجهها.

غابت زوجته، حينما تغيب يتغير شيء بشكل ما، ربما نفتقد ابتسامتها الفائرة على الدوام.
قمتُ واقفا وقلت لزوجتي في حزم:
ـ هاروح أصلي، آجي ألاقيكم جاهزين عشان نمشي.
ولم أنتظر إجابة، قال هو بصوته السعيد:
ـ ما لسه بدري!
ـ معلش، مصدع قوي ومش قادر.
في أثناء عودتي عاتبت نفسي، مَن التعس الذي يحكم على نفسه بالـ«مرواح» مبكرا؟
لمحتها واقفة من ظهرها، اقتربت مبتسما كي أحييها.. فسمعتها تهمس:
ـ مش هاتبطل البكش ده أبدا؟ وانت كمان.

أغلقت الخط، وراحت تحرك إصبعها على شاشة هاتفها، ثم اتجهت نحو زوجها بنفس ابتسامتها.
كانت مطرَقة تضرب رأسي الآن، دخلتُ عليهم فحييت الجميع بشكل آلي، وأخذت جماعتي ومضيت.
داخل السيارة قالت زوجتي:
ـ عشان الهانم لابسة سواريه، مش عاجباك دلوقت الچيبة الچينز؟
ـ أنا مش طايق أي كلام!
ـ طبعا.. مانت هاتقعد غضبان وندمان انك مش زي صاحبك المحظوظ.

بعكس ما ظنت، لم يشتعل شجار حائم مثل كل مرة.. بل قلت بصوت كئيب:
ـ ماحدش محظوظ في الدنيا دي!

فعل حب!

في انتظار لأصدقائي وقد جهزت كل شيء، وقعت عيناي على إطار الزواج، ابتسمت بنصف شفاه، ثوب أبيض وباقة ورد ورابطة عنق حمراء.

تركت عيناي الصورة وقمت لأفتح الباب، أصدقائي معظمهم من الرجال، هكذا فرضت المهنة، والزوجات لا يحببن المجيء عندي!

رحت أعد المائدة ونحن جميعا نتضاحك، أعرف ما يحبه كل منهم وقد أعددته له. وكلما شكرني أحدهم قلت بابتسامتي الآسرة: الطبخ فعل حب!

كم أحب أن يلتفوا حولي، وأن أجمع أمانيهم بعيني. أجل أعشق أن أحركهم وهم جالسون، وأسمع صراخهم وهم صامتون.

قالت صديقة ناهرة: أنتِ تؤكلين!

ضحكت وقلت: فليأكلوني، إذن فلماذا خُلق اللحم؟ ألا تعرفون أن العطب يصل إليه إذا لم يؤكل!

حذرتْ تحاول إيقاظ ما مات: سيتمنون، ويتطاحنون! ستخسرينهم جميعا في النهاية..

رفعت كتفيّ: فليتمنوا وليتطاحنوا، ما أحب الدماء لدراكيولا جائع لم يُطعم من ألف سنة!

يئسَتْ أو غضبَتْ لا فرق، أخذتْ حقيبتها متعللة ومشت. لم يشعر بتوترها أحد، ولا بذهابها.

جلس الجميع على المائدة يثني على الرائحة الساحرة والبخار يتصاعد، يكاد يحرق!

دخلتُ وفتحت باب غرفة المكتب أسأل:

ـ برده مش هتاكل معانا؟

أجاب دون النظر نحوي ـ كعادته ـ :

ـ لأ، اتفضلوا انتو.

رفعت كتفي وأغلقت الباب على زوجي، وعدت لتلقي كلمات المديح التي تسعدني وترقص لها أذني.

شرخ

دخلت أختي باكية كعادتها.. تشكو زوجها، تعيد قصة غيرته المجنونة التي تقيدها وتكدرها ليل نهار، لكن بحكي مختلف.
اليوم تتكلم عن الشرخ الذي أحدثه زوجها في حياتها، أقرب الناس وأبو البنين.
أنظر لها طويلا، لو عرفتْ ما أحدثته هي من شرخ في حياتي، لانتحرت إذن!
بينما تتحدث، يمكنني أن أرى كم هي فعلا جميلة، فاتنة، تهلك العين..
وينقرص قلبي بشدة حينما أشعر أن زوجي كان معذورا.

اللوحة

طرقت الخادمة على الباب، وسمعت إذن الدخول لتبلغ سيدتها: كلهم جم تحت!
شكرتها السيدة، ووقفت وقفة أخيرة أمام المرآة، لا لتتأكد من تأنقها المعتاد،

ولا لترى كم هي جميلة، لأنها سترى ذلك بوضوح في أعين نساء العائلة بعد دقائق، بل.. كانت نظرة أشبه بالتشفي!

تحركت لتلقاهم، على سلم البيت الكبير رأتهن يحملقن في اللوحة، رغم أنهن يحفظنها عن ظهر قلب! لوحة ضخمة في منتصف القاعة الكبرى، أُعدت لها خصيصا على يد رسام ماهر.

رسمها وهي جالسة تبتسم كأميرة حقيقية، كأنها صورة حيّة من فرط دقتها، لها صوت.. ينادي بالاكتمال.

انتبهن لحضورها، فرأين نفس الابتسامة التي يعجزن عن ردها إلا بابتسام، وهن يغلين في ذات الوقت!

تعرف، تعرف أنهن دوما ما كن يغلين.. وقد باتت ليلتها تسأل نفسها:

«ترى، هل سينطفئ الغليان أخيرا؟»

جلست بينهن تحييهن، وتضايفهن بكرمها المعتاد، حتى قالت كبراهن فجأة:

ـ فيه موضوع مهم.. عاوزين نقول لك عليه..

نظرت لها بفضول كاذب ولا يترك أنفها الشموخ، لكنهن تقاذفن النظرات التي تستحث القول، ضحكت وقالت: فيه إيه يا جماعة؟ خير؟

قالت كبراهن متنهدة: جوزك.

رغم أنها تعرف كل شيء، انشق قلبها لسماع الكلمة، منه علمت ـ وعلمن ـ معنى الحب!

تماسكت أمامهن وظلت محافظة على ملامحها تتظاهر بانتظار المفاجأة، وتستعد لأداء الدور.

بمجرد إشعال الفتيل تضطرم النار! كل من أوتيت من الكلمات تكلمت، من تصف المرأة الأخرى، ومن تُقبحها! من تلومها على غفلتها ومن تتحسر على الولاء. احتشدت الأصوات.

تجاهلت استغاثات كبريائها بأن تصرخ بهن أن يصمتن.

يجب أن تنتهي مأساة حياتها، الآن!

ظلت صامتة في صدمة زائفة تتلقى الصفعات، وبعد أن بدا أنهن تعبن أخيرا وفي انتظار صوتها، أغمضت عينيها بانكسار، أسالت ـ بسهولة ـ دمعات من تحت الجفنين.

وفي اللحظة التي قمن فيها لمواساتها بالأيدي والأذرع، انهار تماسكها ودخلت في موجة عنيفة من النشيج.

هدأت مثلما هدأن، امتنعت عن الكلام، انفضض من حولها أخيرا.

لم تكن الآن تشبه اللوحة، كانت مشعثة الملامح، منتهكة الروح.

سمعت قدومه، ارتجفت، طبعا علم بما حدث، دخل مطأطئا، سمعته يبرر

ويتوسل ويطلب الغفران.. سمعته يؤكد أنها الحب الوحيد.
قالت: أنا مسامحاك.
وربتت على توسلاته بيد مرتعشة، فقبل تلك اليد.
أجل علمت وأجل قبلت.. وربما شعرت بالخطر لكن سكتت.
كان لا بد أن يحدث ما حدث، كان لا بد ألا يتم الاكتمال.. حتى تهدأ نارهم، حتى وإن اشتعلت في مكان آخر، بداخلها.
نادت على الخادمة وقالت بحزم:
ـ شيلي اللوحة دي من هنا، ونزليها المخزن تحت.

المناقشة

كان الزوج جالسا في انتظار زوجته، بعد أن حددت أخيرا وقت المناقشة. كان متوقعا ما سيسمع من هم وغم.. طلب للطلاق طبعا، وحديث عن النفقات درءا للمحاكم!

سيوافقها على ما تريد، أخذ قرارا لن يعود فيه: أن يفكر كيف يمتع نفسه كما يستحق!

أربعون عاما من العمل دون راحة.. يكدح مع تعليمه ليساعد أباه، ثم يكدح كي يكوّن نفسه ويتزوج ببنت ناس، ثم يكدح بعد الزواج لمدارس الأولاد، آن له أن يعيش كيفما يشاء هو لا كيفما يشاء الناس.

أجل ذهبت أيام الشباب لكن ما زالت هناك فرصة، ويا لها من فرصة!

دخلت زوجته الغرفة وأغلقت الباب، سأل: ناموا؟

حركت رأسها بالإيجاب، وجلست أمامه قائلة إنها ستدخل في الموضوع دون مقدمات. قال في نفسه إن ذلك أفضل حل! دائما ما كان أسلوبها مريحا. قالت:

ـ أنا مش عاوزة اتطلق.

لا يدري لماذا ارتاح شيء بداخله رغم المفاجأة، ألأنه سيتجنب عناءاً وكَبَدا كانا مؤكدين! تابعت:

ـ أنا مش عاوزة أولادي يكبروا من غير أب!

ـ كويس..

ـ لكن احنا هنعيش في بيت واحد بشكل منفصل تماما.

حرك رأسه في استيعاب، ثم قال ـ مفهوم..

ـ مش محتاجة أفكرك تنظم وقتك بين البيتين عشان مايفتقدوش وجودك، سواء معاهم على الغدا، أو الأجازات.

ـ أنا فاهم كويس، وانتي كمان هتفضلي ملزمة مني حتى لو هنعيش منفصلين، أشوف طلباتك واحل مشاكلك.

نظرت إليه بابتسامة مستنكرة، فقال:

ـ حتى لو اتطلقنا كنت هاعمل كده، إنتي أم أولادي ودي عشرة، وانا عمري ما كنت ندل!

قال ذلك والندم يكاد يقع على حجره، إذ إنه يفتح باب اللوم والتقريع على مصراعيه! لكن ذلك لم يحدث. دائما ما كانت عاقلة. قالت هادئة:

ـ أنا أقصد فعلا نعيش منفصلين تماما، أنا هاصرف على نفسي، وهاشارك في الولاد، أنا أمهم، وف بيتي لإنه بيتي، في المقابل أنا هاعيش حياتي كإني مطلقة برده.

كشر الآن وتساءل عما قيل، أوضحت:

ـ إنت اخترت حياتك زي مانت عايز، أنا ماوقفتش في طريقك، إنت كمان ماتقفش ف طريقي.

ـ إنتي عاوزة تمشي على حل شعرك وانتي مراتي يا مدام؟

ـ من غير غلط! أنا أقصد لو قابلت شخص يصلح يكون مكانك.

ـ طبعا لأ! أما انتي عاوزة تتجوزي تاني، ماتطلقي وتخلصي!

ـ منا وضّحتلك.. مش عاوزة أولادي يعيشوا من غير أب.. ودول ولدين! مش

هاقدر عليهم لوحدي، والدنيا صعبة. مين يضمن أقابل حد أساسا!
ـ خلاص يبقى نعيش في الوضع الطبيعي بتاع أي راجل متجوز اتنين!
ـ للأسف مش هاقدر على كده، أنا شايفة اني ماقصرتش معاك ومع بيتي، إنت شايف ان سعادتك مع واحدة تانية، خلاص، بلاش نظلم الأولاد معانا، بس تديني فرصة أنا كمان يمكن أقابل إنسان أكمل معاه بقية عمري.
ـ قولي كده بقى من الأول! مش تقولي لي الولاد وبتاع.

نظرت له نظرة يعرفها، يمتزج فيها الحزن بالرجاء:

ـ ليه عاوز تحرمني من حاجة من حقي؟ عاوزة أب للأولاد وشريك لحياتي في نفس الوقت! أنا ست ماقدرش على الوحدة! وجوزي مش عاوزني، باقبل كل ده بهدوء ومن غير شوشرة.. مش واخد بالك؟
ـ أنا عمري ما قلت اني مش عاوزك! أنا سبتلك حرية الاختيار.
ـ إنك ماتكونش متمسك بالست معناها انك مش عاوزها، إنك تدخل واحدة حياتك وانت متجوز...
لم تكمل، واجتاحتها الدموع، قالت بسرعة:
ـ اسمعني، إحنا عاوزين نوصل لحل! فكر في اللي بقولهولك هتلاقي نفسك بتعاند من غير سبب، أنا فعلا مش فارقة معاك! ليه عاوز تعيش حياتك، وانا أقبل، يا إما تسيبني لوحدي ولأولادك ومسؤوليتهم؟ مش يمكن أقابل حد يقدرني فعلا؟
ـ إنتي عشان ست، مش فاهمة انتي بتقولي إيه! مافيش راجل يقبل بكلامك ده!
ـ فكر في كلامي بعيد عن كلمة راجل ومجتمع.. فكر في معنى كلمة «ست وحيدة».. أخليك تفهم ازاي؟
ـ عمري ماهافهم! خلاص ده أمر مرفوض! عندك حاجة تانية تقوليها؟
ـ لأ.

قالت بنفس الهدوء. ظل صامتا وهو يغلي! استحثها لتتكلم ـ لأ يعني إيه؟ ناوية على إيه؟
ـ ولا حاجة.. زي ماقلت لك، مش عاوزة اتطلق. هاتقول إيه للولاد؟
ـ هاتصرف!
ـ تصبح على خير.
انتهت المناقشة، وقامت لتنام مع أولادها، لكنه حتى الصباح، لم يغمض له جفن.
ولم يكن يعرف أنه لن يغمض له جفن مرة أخرى أبدا!

سماعة واحدة

سماعة واحدة في أذنها، تخفيها بشعرها. أجمل أغاني العشق ترج قلبها الذائب، وتدفع برعشة داخل جسدها المرتخي.
ـ شفتي الدولار حصل له إيه؟ البنك المركزي لازم ياخد قرار.
ـ أيوه.. لازم.

لم يكن قد حرك عينيه من أمام شاشة هاتفه حينما قطع الصمت.
تغوص في عمق عينيه، قربه يزداد وأنفاسها، يلمس أنفها بأنفه، تغمض عينيها، تترك وعيها الوحيد بين يديه الساحرتين وهمسه الحارق.

ـ اقلبيلنا على الأخبار نشوف الدنيا.
ـ الريموت مش معايا.
ـ على رأيك، هاشوف من الموبايل.

ابتعد قليلا، فتحت عينيها، عرفت برغبته في الرحيل، تشبثت بياقة قميصه بسرعة، أرهقها الصمود، جذبت رأسه، استسلم لها، تاهت معه..
ـ باقول ايه؟ أنا داخل انام! إنتي تايهة ف ملكوتك وسايباني!
ـ أبدا.. إنت كنت ماسك الموبايل.
ـ كده كده انا تعبت، تصبحي على خير.
ـ أنا جاية معاك.

التف سريعا بلحافه، تقابل الظهران، ظلت السماعة الواحدة تشدو، ابتسم لعينيها، رأسه فوق الوسادة، أخفاها في حضنه، ومع شدة العناق، يتعالى الشخير.

سماعتان

التلفاز مفتوح، الشاشة تتحرك للأحد، والأصوات تعلو. أشارت بيدها فانتبه:
ـ ممكن توطي التلفزيون شوية؟
أغلق التلفاز والسماعتان في أذنيه.
بدأت الرقصة النارية، ثوبها من الجلد اللامع، كاشف حارق..
حفلة نوم الأطفال على وشك الانتهاء، البكاء والجدال يتضاءلان..
تقذف بشعرها الثائر هنا وهناك..
نام الصغار،
تتلوى الآن على الأرض..
انتقلت الضوضاء داخل المطبخ. قال منزعجا:
ـ مش لازم كل يوم.
ـ هاخلص بسرعة الحوض مكركب.

تخلع حذاءها اللامع وتلقيه بعيدا ليكون البداية..
رفع الصوت أكثر، والسماعتان تهتزان إثر الإيقاع،
اختفى الثوب وعلا الوهج..
انبثقت قطرات العرق، وضربات القلب على أوجها، رشفة ماء بارد أصبحت مُلحة، تربت على كتفه:
ـ تحب أحضرلك العشا؟
نزع السماعات ممسكها:
ـ لا مش عاوز، هاتروحي تنامي برده؟
ـ مانت عارف.. أنا هلكانة طول النهار.. أجيبلك حاجة قبل ما انام؟
ـ كباية ميه ساقعة.
تجرع بهدوء، تمدد على الكرسي منتشيا، ووضع السماعتين من جديد.

عصفورة

صاحت بغضب عظيم: ليس بعد الآن!
وسكتُ أنا.
لطالما كانوا يحسدونني.. أعرف.
كم يزداد جمالها حين تغني، حين تضحك، حين ترقص.
لكني لا أتركها كثيرا، سريعا أثور متخذا أحد الأسباب، وما أسهل ذلك،
تنطفئ عيناها، فتنطمر ناري.

يحدث أن تطفو من بين قبضتي، فيشع لها بريق، تلتفت له الأعين، تحرقني الأعين، أحاصرها فورا، أغرقها بغضبي وشكواي، تغوص في الأعماق. لن أغرق وحدي.
بين حين وحين، كانت تتذمر، يطيش عقلي لكن أهدأ، أتبوأ مقعد المسكين، أتركها تفرغ غلها، ما أن تفرغ، تسكن.

اليوم، فارت ثورتها، واجتازتني..
تصيح! خفية أرتجف..
تعلن! يخوي ما بين أضلعي..
تمردت..
ليس التنازل، ولا الدمع، تمرغتُ في قهري... ركعت!
تضاءل الصياح، وتبخر التمرد..
تعود مكمنها..
أنجح في الإحكام، وأحفظ مفتاحي في مكان أمين، بعد غلق القفص.

الثمن (1)

يتلامس الجلد، فيستحيل لاحتواء، تختلط البرودة بالدفء، وتذوب الخشونة من فرط نعومة اعتلت السلطة في لحظة! ذاب مختبلا في تسلطها المزعوم، وارتعشت من عنفوانه، الرغبة الحارقة في ما هو مملوك حقا مسكرة! وشعور المرغوب بتملكه أكثر سحرا.

ينتهي اللقاء مثل كل لقاء، أبتر هو! يسجى في ارتياح ورضا، تشتعل تأوها صامتا محظورا، تستسلم لزخاتها الخرساء، يترك المال بقربها، يخبرها أنه يتذكر طلباتها، تنظر للأوراق بأسى، تجبر ذاتها على النوم.

في الصباح، سمعته يوقظها، يهمس لها: الأولاد صحيوا! وانا جعان.

ـ وانا كمان جعانة.

تقول مبتسمة، يقبل رأسها:

ـ طب يلا يا ماما كلنا مستنيين.

الثمن (2)

تمتد الذراع، يصدمها الفراغ! ينتفض الجذع وتبدأ الأعين في البحث، تفشل في الرصد فينطلق اللسان مناديا بهلع!

بسرعة كعمياء، تفتش في كل ركن، تجده أخيرا فيعود القلب من أطراف الأصابع مكمنه. تسأله عن بعده فلا يجيب، تجلس حدّه تسترضيه، يقول بغضب:

ـ مش كل ما هاسافر مع صحابي هتنكدي عليا!

ـ ماهو لو بتسافر مع صحابك بشكل معقول ماشي، إنما مش كل أسبوعين أروح أبات عند بابا، يقول عليا إيه؟

ـ بابا؟ وبابا ماله ومال حياتنا؟ أنا زهقت!

ـ طيب خلاص، خلاص ماتزعلش.. سافر معاهم، بس بلاش أسبوع زي المرة اللي فاتت..

ـ هم خمس تيام وهتلاقيني هنا في السادس.

سكتت والغم يركب قلبها، قال مداعبا:

ـ طب إيه؟ حاف كده؟ فين البنزين والذي منه؟

ذهبت فجاءت بحقيبتها، أعطته ما طلب ويزيد، وضع ساقا فوق ساق وراح يعد الأوراق، أخذها متنهدا في غير رضا! سألته مندهشة تكتم غضب غول عمّ به؟ قال:

ـ أنا خايف تقعدي تقولي لي عرقي وشقايا..

ـ واللـه ما كنتش هاقول لك أي حاجة.. صدقني!

ابتسم وأجلسها على حجره، قال بنظرة زائفة:

ـ طب منا ماكنتش هاسيبك تعيش لوحدك يا قمر.

الحور العين

لم تكن تصدق ما هي فيه! هل حقا ماتت وبُعثت كي تُحاسب؟

زحام فظيع وضوضاء، وقوم هناك من بعيد تسمع صراخهم، والحمم تتقاذف من بعيد عاليا، ربما كي يراها الجميع. أين أهل الجنة إذن؟ وأين هي؟ ليست هنا وليست هناك! هل هي من أهل الأعراف إذن؟ لا تسأل من حولها كما لا يسأل أحد أحدا! كلهم مجتمعون يتقاربون في قلق. بدأت تبكي فرحة، فحتى لو تساوت حسناتها وسيئاتها فهو أعظم من أن تكون من أهل النار! كم تعبت.. كم أنت كريم يا رب! هي لا تستحق النار! وفي جميع الأحوال فقد سمعت أن اللـه يرحم أهل الأعراف بالجنة في النهاية.

ماذا عن أولادها؟ أين هم؟ قبل أن تقلق من تساؤلها وجدت جموعهم تنزل من طريق فُتح فجأة، فنزلت مع من ينزل. فوجئت بنفسها في مكان فسيح، ظليل، لو مدت يدها لقطفت تلك الثمرة غريبة اللون شهية الرائحة، خطت ببطء، فسمعت الصوت الموعود، تهللت وغمرتها بهجة شاسعة، صوت نهر! هذا نهر جنتها دون ريب! لقد دخلت الجنة؟ وجدت نفسها تقول:

ـ أولادي يا رب!

فحضر غلام سمح بهي الطلعة، يخيرها إن كانت تريد الذهاب إليهم، أم يأتون إليها، أم تفضل أن تشاهدهم فقط عبر الشاشة الضخمة! فكرت للحظة وقالت لنفسها، بما أنها اطمأنت عليهم، فلا بد إذن ألا تعكر صفوهم. واختارت أن تراهم عبر الشاشة، فرأتهم يتسابقون بالدراجات النارية، وانشرح قلبها لسماع ضحكهم!

تذكرت فجأة أمرا.. أين زوجها؟ سألت الغلام، فاختفى وظهر رجلان في لحظة!

ـ سيدتي، يسألك اللـه إن كنت تريدين زوجك في الجنة، أم تريدين صحبة رجل آخر؟

ـ وهل يحق لي؟

ـ سيدتي.. أنت في الجنة.. مهمتنا أن نسعدك..

صمتت قليلا، هل تختار زوجها؟ كان رفيق العمر، لكنه لم ينم مرة إلا غالبا! كان ينفق على بيته، لكنه لم يكن يدعها تحتكم على مليم واحد لنفسها، تفعل به ما تشاء دون إذنه! ولم يُرب معها الأولاد، ترك مسؤوليتهم بالكامل لها!

لكنه لم يضربها أو يهنها يوما! ثم إنه لم يخنها! لكن مهلا، حتى لو فعل لم تكن لتعرف، كان محرما عليها أن تسأل أين كان أو لماذا تأخر.. هي من لم يكشفه! ثم إنه كان يخشى أباها، من يعلم لو أنه مات قبلها ماذا كان سيفعل معها؟

لم يكن بخيلا.. لكن مشاعرها آخر ما اهتم به.. يثني على كل عارية يراها ليذكرها بنقصها حتى كرهت المرآة، وتبوأت مقعد العجوز مبكرة هربا من لسانه!

كل ذلك يمكن قبوله، إلا الحنان! لم يكن حنونا عليها، كان قاسيا فعلا لا يرأف

بحالها إذا مرضت من ثقل أحمالها.
لكن ماذا سيقول الأولاد؟ «عيب عليكِ يا شيخة!»، كيف ستواجهينهم؟! طبعا اختاري أباهم! احتملتِ كل ذلك في الدنيا، ما الجديد؟
لكن مهلا... سألت:
ـ هل اختار زوجي الحور العين؟
ـ الحور العين ليسوا اختيارا، هن متاحات في أي وقت!
قالت لنفسها لن يلومها الأولاد حينما يرون الحور العين مع والدهم! نظرت للرجلين وقالت:
ـ فلينعم هو بالحور العين.. لا أريده.
لم يلُمها أحدهما كما توجست ولا بنظرة، سألوها سريعا:
ـ من تحبين أن يصحبك؟ يجب أن يكون من أهل الجنة.
سكتت قليلا ثم احتارت، ليس هناك شخص ما في مخيلتها، ليكون رفيقها في الجنة! سألت:
ـ هل يمكن أن أستعين بصديق؟
ـ طبعا، من تأمرين بإحضاره في التو؟
فضلت أن تتواصل مع صديقتها عن طريق الشاشة، وسألتها عما فعلت، وكانت الصديقة تحب شابا حين كانت فتاة جامعية، فاختارته بدلا من زوجها البخيل! فكرت.. هي لم تحب أحدا في الجامعة.
ـ أي أحد! فكري، بالتأكيد قابلتِ رجلا تمنيته..
ـ ما أدراني بحقيقته؟
ـ نحن في الجنة! الرجال بلا عيوب! أنت تستحقين ملكا! تذكري..
ـ ما داموا بلا عيوب في الجنة.. فلأختر زوجي (وخلاص)!
ـ (براحتك!)
أغلقت الشاشة، نظرت للملكين، قالت ـ هل لي بمهلة للتفكير؟
ـ طبعا سيدتي، بمجرد أن تحتاجينا ستجدينا.
اختفيا ودخلت قصرها تفكر.. الشرط الوحيد أن يكون من أهل الجنة..
استسلمت لنوم عميق مليء بالرجال..
ـ ناموسيتك كحلي!
ـ لسه ماخترتش..
ـ ماخترتيش إيه؟ بصي، أي حاجة خليها بعدين وقومي اعمليلي فطار انا ميت من الجوع!
فتحت عينيها ووجدت زوجها واقفا، اعتدلت، وسألته عن مقصده.

ـ جماعة صحابي عازمني على خروجة، يلا قومي بقى!
ـ بس النهاردة يوم أجازة الولاد، و...
ـ يووووه! أقول لها ميت من الجوع تقوللي الولاد!

قامت فأعدت الفطور له، أكل، نزل، ثم أنهت الواجبات المدرسية مع الأولاد وأخذتهم للنادي. عادت بهم وقت الغداء فأعدته لهم، أكلوا، نزلوا مرة أخرى لميعاد الطبيب، عادت بهم نياما، أيقظت من أيقظت وحملت من حملت، وعلى فرشهم غيرت ملابسهم، واستعدت للنوم.

لكن الغريب، أنها كانت خلال كل ذلك، غارقة في سعادة غامرة...

هي..

ها هي.. القذرة!

لست أدري لماذا أوقع اللـه لعوبا مثلها في طريق زوجي، دون كل الرجال؟
ها هي تضحك بخلاعة.. لا بد أن اصطياد الرجال شيء سهل للغاية أيتها الساقطة!
لكنه، لم يُعجب بصنفهن قط.. لم يحترمهن إطلاقا! ما الذي حدث؟ كيف خدرته وسرقت عقله؟
ها هي تمشي بميوعة، تستعرض ملابسها الأنيقة، سحرتك بزيف المظهر أيها المغفل.
تتلفت حولها في قلق، لماذا؟ تتأكد ألا أحد يراها، لا تعرف أن هناك من يرقبها

وسيوقعها حتما في شر أعمالها!
التقت رجلا وناولته شيئا، تلفت حوله هو الآخر، التقطتُ لهما الصور، خلاصك على يدي. أكملا حديثا سريعا ثم افترقا، تحركتُ مسرعة خلفه، وغدا أتبعها هي.
طريق غريب، دهاليزه وعرة، ما هذا المكان؟ من هو؟ يبدو كقواد،

يا ليت! ستكون نهاية رائعة تليق بمثلها.
دخل بيتا مشبوها، خرج، سجائره لا تنتهي، دخل آخر، بدأ ينسطل! جلس على دكة خرسانية، رمى ما تبقى من سيجارته، وبدأ في استخدام محموله الصغير. يحدثها؟ ماذا يقول؟ ماذا أفعل؟ سأُجن؟!

ليست مومسا قطعا! إنها كذلك بالخُلق لا بالفعل، توقع الأزواج المحترمين أولاد الناس، تستحل ما حرم الله من قول، اللعنة على أمثالها!
الغليان في جوفي يفقدني عقلي، يدفعني لفعل أي شيء، مهما كان جنونيا.
وجدت نفسي أقف أمامه وأسأله، «ماذا أعطتك؟ إنها سرقتني، دُلني تنجُ».
وقف حائرا متوجسا، ثم ابتسم باستهانة وسألني عما سرقته مني، قلت «أغلى ما في حياتي!»، لكنه لم يهتز، قال ببرود:
ـ اذهبي وابحثي عمن سرقك.
ـ أقول لك هي!
ـ لا يسرق أحد كي يطعم غيره.
نظرت له في غير تصديق، الصدمة شلت تفكيري للحظات، ظهر عدم تصديقي جليا، قال مشيرا حوله:
ـ كل هؤلاء ينتظرون لقائي بها.
وسط ذهولي ورفضي لما أسمع، رأيته يدفعني: اذهبي فارمي بلاكِ على أحد آخر!
لم أتحرك، تسمرت للحظات، لحقت به قائلة بلوعة:
ـ يا عم، لكنها فعلا سرقتني..
نظر نحوي بعينين متعبتين وقال:
ـ ربما أنك أنت من ضيعت ما ضاع منك.

ت-نازل

لطالما كانت جريئة.. لطالما كانت صريحة بشكل لا يناسب الإناث!

«الجاذب الجنسي عندك مش قوي، وانا كمان زيك مش شعلة نار ماشية! كده أحسن، عشان ماحدش فينا يحس انه كتير على التاني».

وكان يعجبني هذا الحديث، يصدمني ويخدرني ويشدني إليها أكثر! في النهاية هي صادقة.

كنت أشعر بالموج يجرفني دون سيطرة مني أو قدرة على التوقف، ولم أبال لأنني أحببت هذا الجرف، لماذا أتوقف؟ لماذا أفكر؟ الحياة برفقتها بهجة كبيرة وضحك كثير. وكان عليّ أن أنتبه.. هي تقود، إذن هي تفكر، إذن يمكنها هي أن ترغب التوقف؟

- أنا عاوزة اتطلق.

كانت صدمة وعرة على رأسي، أعرف نظرتها تلك، سألتها أتلظى:

- ده الولد اللي انت حكيتي لي عنه معاكي في الشغل؟

أجل شعرت، منذ أن جاءت سيرته في بيتي ولم أعد ديك عشي! الفرخ نافر، وقلقي لم يسفر عن توقع المصيبة!

- أنا قصرت معاكي فإيه؟
- ماقصرتش! الحكاية مش تقصير..
- بطلتي تحبيني؟
- ولا الحكاية حب!
- إنتي عايزة تجنينيني؟

ظللت أراوغ وهي تواجه! ظللت أكذب أذني وأطفئ عقلي، وهي ماضية في طريق الصدق كنصل! لا يوجد رجل، بل لا يوجد بشر، يمكنه احتمال ما تقول..

- إنتَ ليه عايزني أخدعك؟ مش أحسن ما أخونك! ليه لازم نكدب على نفسنا؟ لعن الل-ه الصدق لو كان بمثل ما تأتين!
- سيبي الشغل، وتعالي نسافر.. ومسيرك هتنسيه!
- ماينفعش أسيب الشغل! وماينفعش نسافر، وحتى لو كل ده ينفع.. أنا مش هاقدر اسيبه!

كم يتحامق البشر داخل إدراكهم الكامل؟ كم يعرفون خروجا سريعا سلسا من المنطق والعقل!

- شوية وهايسيبك..
- مش عارفة إيه اللي هايحصل بعد شوية!

حينما أسأل نفسي، أجدني لا أعرف لماذا وافقت؟ هل لأنها أصرت؟ هل لأنني ضعفت أمام حالة الهوس التي أصابها بها هذا الشخص؟ هل لأنني كنت خائفا من فقدها نهائيا؟ هل لأنه لم يكن لدي بدائل أصلا؟

طلقتها، وفي كل يوم من أيام العدة كنت أنتظر أن تعود إليّ وتخبرني أنها استفاقت وأنه كابوس، لكن شيئا من ذلك لم يحدث.

علمت بزواجهما، يجب أن أبتعد، أرحل حتى لا أجن!

حينما سمعت بالطلاق لم أفهم مشاعري! فرحة ووجع، وشماتة، ورغبة غريبة في انتقام زائف لن أقدر عليه. لم أفكر طويلا، أريد استعادتها، علها تعلمت الدرس.

عاد الفرخ لعشه، لكني غير راض!

ماذا يوجعني؟ لا أدري! ربما تسرعي، ربما كبريائي، ربما جرحي الذي لا يزال يئن؟

قررت أن أواجهها، لم أعد أريدها.

صدمتني عيناها الزائغتان!

ـ بتفكري فيه؟

ـ خالص، سبنا بعض باقتناع.

هي صادقة، لكن أتصدق الآن؟ أم كاذبة هي دون أن تدري؟

ماذا أريد؟ انقلبت حالي، فعلت كل ما يمكن كي أستعيد ضحكتها.. مؤكد يمكننا أن ننسى.

حينما بدأت تتورد عاد أنين جرحي! لست راضيا، شيء يحرقني. سأواجهها، لا بد! هذه الليلة، لكنها فاجأتني...

ـ أنا عايزة أتطلق، مش انت السبب، مش أحسن ما أخونك؟

تــاج

إنك حتما سوف تفتن بها!

ستهوى الحديث معها، ستعشق الإعجاب في عينيها.. وستحب نفسك كثيرا بعدها.. ثم ستدمن وجودها.

ستصدق أنك ملك الملوك الذي فقد تاجه في ظروف غامضة، وستعتب على كل حاشية لم تقدم لك فروض الطاعة، لكنك ستنشغل عنهم بأميرتك التي لا ترى في القاعة سواك.

وبعد أن تظن أنها في انتظارك دوما، ولك حتما، ستدرك أنها ليست كذلك بعد، وستفكر في شيء واحد، كيف تملكها، وستشعر بنشوة وأنت تتخيل فرحتها.

وفي طريقك إليها، سترى الطابور..

ستتجاهله..

ستتقدم نحوها، ورويدا رويدا ستسمع كلماتها الساحرة، وتقدم بلا عقل، غير مبال بأي شيء كي تمارس أذنيك الحب معها تلك الكلمات..

ثم ستبحث عن عينيها، فلن تجدها تجاهك!

ستصدم إذ ستكتشف أنك لست الوحيد! ولست الملك! وستفاجأ بتل ضخم من التيجان، بمقاسات كثيرة مختلفة.

ستحاول انتزاع تاجك، وستظل متمسكا به، سيمسكون بتلابيبك، ليقذفوك في الخلف ثم الخلف، لتأخذ مكانك في الطابور!

لماذا أخبرك؟ لماذا أُبعدك؟ أبدا! مثلي مثلك، أصابني السحر اللعين، وقد اتخذت موضعي..

لمَ لم أقل لنفسي؟ لمَ لم أتحرك مبتعدا؟

لا تخش شيئا.. فستقف صاغرا، في انتظار دورك!

عرض مشروع

كانت جالسة في باحة أحد الفنادق الفخمة في انتظاره. تعرف أنه قطعا سيتأخر، يقول إنه يصعب لمثله أن يلتزم بموعد، هو حقيقةً رجل المهام، فمن الوزارة، للمكتب، للقاء تلفزيوني، للمطار، وهكذا..

لابد أنها تشفق على نفسها إذ أوقعها الحظ في شخص مثله. تنهدت وهي تُقر.. للنجاح جاذبية خاصة.

رأته يدخل من البوابة، يحدد مكانها في لحظة وبسهولة فائقة، متجها إليها بوقار. ذكاؤه شديد واعتداده بنفسه أشد.

صافحها وجلس قائلا:

ـ أديني جيت أهُو يا ستي، ها، إيه العرض الغير مشروع؟

ضحكت كالمعتاد من تعبيراته المفاجئة وقالت:

ـ لا خالص، ده عرض مشروع جدا. مطلوب منك تديني الموبايل، هارُد على المكالمات المهمة بس وأقول انك في اجتماع مهم. وبالليل هاقفله طبعا.

ـ وبعدين؟

ـ وبعدين نتقابل بكرة الصبح، تكون هديت وروقت بالك وأخدت قرار في الكام موضوع المهمين اللي مش لاقي وقت تفكر فيهم. الليلة مدفوعة شاملة الغدا، وساعة في الساونا هاتدعيلي عليها. مفتاح الأوضة أهُو.

لم يأخذ المفتاح، أمال جذعه نحوها كي يهمس لها وحدها:

ـ أنا هاقضي اليوم كله لوحدي؟ طب الليل ماشي، لكن النهار؟

ـ عشان تعرف تفكر. أمال انا عاملة كل ده ليه؟

ـ أنا فعلا مش فاهم ليه؟ ـ عاد لوضعه ـ فكرة مجنونة ومُكلفة..

اعتادت على أسلوبه الحاد، قالت بإصرار:

ـ ده الهدف من العرض. إنت مش قلت هتوافق على كل طلباتي؟ أنا عاوزة أساعدك.

ـ هوافق على عرضك بس تكوني معايا.

ـ بالنسبة للبيه والأولاد أقول لهم إيه؟

ـ اتصرفي، مش بتقولي عاوزة تساعديني؟

ـ أيوه! أنا فعلا بحب اساعدك، بحب اقف جمبك.

ـ لدرجة تحجزيلي أوضة فُل بورد؟ طب منا اقدر احبس نفسي في مكتبي.

ـ إنت عارف كويس ان طول ما انت مرصود مش هاتعرف تنفرد بنفسك، فأنا فكرت في الفكرة دي.. مش احنا صحاب؟

ـ لا مش صحاب ـ همس من جديد ـ الصحاب مافيش بينهم حب.. ولا عاوزين بعض!
ـ إنت موطي صوتك ليه؟ ـ ضاحكة هاربة ـ خايف تكون متراقب؟
ـ واللـه الدنيا علمتني إن كل شيء جايز. لكن أنا ماعلياش لوم في حاجة. بالنسبة لي أنا عندي ٣ أماكن فاضيين، إنتي اللي مش فاضية.
ـ فعلا؟
قالت بابتسامة مستنكرة، وعادت للوراء قائلة:
ـ بس المسألة مش مسألة مكان فاضي، حتى لو كنت أنا فاضية ماكانش هايبقى عندك الجرأة تخليني زوجة تانية.
ـ تلميحك مش عاجبني.
تخشى تقطيبة جبينه، ويدق قلبها كمراهقة، قالت:
ـ تنكره؟
ـ أنا ملك نفسي! وعندي الجرأة أعمل اللي على مزاجي.
ـ حقيقي؟ طب ما احنا فيها.
استوت ملامحه في غير فهم، قالت شارحة:
ـ أنا اتطلقت فعلا من أكتر من شهرين!
ـ وازاي ماتقوليليش؟
ـ كنت مسافر، جيت شوية وسافرت تاني، ومن ساعة ما جيت مشغول، وأخيرا عندك كذا قرار مهم لازم تفكر فيهم على رواقة، فقلت أنتظر. مانت عارف اني لا يمكن أفكر أعطلك.
ظل صامتا، قالت:
ـ إيه، مش هاتقوللي يللا على المأذون؟ مش ده اللي قلت ان كان نفسك فيه من زمان؟
بعد سكوت طويل تعلوه نظرة جادة، قال:
ـ انتي عارفاني، وعارفة اني ماخدش قرار مهم في حياتي بدون تروي، إنتي فاجئتيني، وانا مابحبش المفاجآت.
ـ لا إنت بتموت في المفاجآت... بس دي مش مفاجأة، ده بالنسبة لك خبر سيئ.
ـ أبدا، لما قلتلك اني عايزك ماكنتش بكدب.
ـ أمال إيه؟
عاد للصمت الجاد، قامت واقفة وقالت مبتسمة:
ـ ماتكشرش. أنا ماتطلقتش ولا حاجة، أنا بس كنت عايزة اثبتلك مرة من نفسي، اني عندي حق!
ظل جالسا يبتلع الصدمة. قبل أن تذهب، استوقفها ممسكا يدها، بعينين راجيتين، يقول:

ـ هاشوفك تاني؟
تنهدت بمرارة:
ـ للأسف.. أيوه.

حـرام

النجم قال: «عاوز أشوفك».
شخص نتحدث عنه أكثر مما نتحدث معه!
داخل المدرج أجلس منتظرة وأنا لا أستطيع ضبط أنفاسي، يدخل بذراعيه المشمرين الساحرين ويمسك الـ(مايك)، ويشعل صوته الرصين فينا النار!
كلما تذكرت طلبه، انتابتني رجة لم أفهم مداها تربض في نخاعي! (عايز يشوفني أنا؟)..

التقينا في سيارته خلف المعهد، تحرك بسرعة قائلا: هانروح اسكندرية!

طرحتني الدهشة أرضا لكني كدت أموت من فرط الإثارة.
قلت: مجنون! قال: هو فيه أحلى من الجنان؟
أجل أعرف، وإن كنتَ سفاح المعادي فلن أتزعزع، تحركني رغبة قوية للبقاء معك.

سأسافر معه! ما أقصى ما تخشاه أمي؟ لن أقع في الحرام.. إذا ما اقتربت الأبواب الموصدة سأعترض، وقبل ذلك كلا!
أمام البحر راح الهواء يتقاذفنا، تبارينا في قذف الحجر، تلاحمنا وتضاحكنا.
قال فجأة: أنا مشدود ليكي بشكل مش قادر استحمله.
سكتُ منهارة داخل نفسي، ربما لو لمسني أحد لتحولت لركام، دوما ما سألت نفسي، هل يعرف ما يفعله بالمرأة أمامه؟
قال: ومش عارف اعمل إيه؟ خايف عليكي مني.
نظرت له أكاد أتبخر من توسلاتي: ماتخافش!
ـ ماتعودتش أحسب أي حسبة.. الدنيا حلوة على طبيعتها، والواحد لو فكر هيضيّع وقت.
ـ الدنيا حلوة عشان انت فيها..
ـ واذا أدمنتك، هاعمل إيه في نفسي؟
فكرت.. أدمنّي يا روح قلبي وأنا كلي لك!
ـ تعالي نتسابق.
قالها وركض وركضتُ خلفه، لا يهمني الناس، ولا الكون كله. استبسلت لأسبقه، أمسك ذراعي، حاولت الإفلات، جذبني بقوة، قد نحب الألم أحيانا! اقتربت أنفاسه فهربت بأنفاسي بعيدا.
«الحياة هي وجودك بالقرب».
لا أقول لكن رعشة عيني وأصابعي تصرخ! انتصف النهار، أخبرته: لازم نرجع.
همس في أذني: مش عايز.
ابتسمت وأنا أخفي رعشتي الخائبة وأردد: معلش!
خفض رأسه وهمس: عارفة نفسي فإيه دلوقت؟
قلت لاهثة: فإيه؟
فأجابني بذراعين تلفانني. لم أصدق أن هذا يحدث! جنونه كسر تعقلي، الجرأة تأخذني، تخطفني، تطلقني في الجو كرصاصة! حقا هو يلمسني الآن؟ بل ويعتصرني، ولا أريد اعتراضه، ولا أن أسمع صوت أمي، ولا أن ألمح استنكار أحد!
ركبنا سيارته، يده تعتصر يدي، من جديد لا أصدق! أنا؟ من بين كلهن؟
دخلنا المدينة، ليس هذا طريق منزلي، انتابتني رعشة أقوى.. لا لن أتفوه بحرف، لن أعترض!
ببساطة أريد، أريد بشدة، ببساطة لو لم أذب فيه وداخله لذبت وحدي كمدا! فرصة لا أكاد أصدق أنها أُتيحت لي من الأساس! فرصة العمر ومن يدري ما تبقى

في هذا العمر. أرغبه، لا لن أفكر.. هو أيضا لم يفكر، يريدني بشكل لا يمهله التفكير في أي نتائج، ليس الآن!

لا شيء يهم، التيار الهادر الذي انتقل من يده ليدي الآن هو ما يهم، لو لم نخمده لأحرقنا!

الخوف؟ لا لا أريد أن أخاف، ستحرق رغبته خوفي وتدفعه دفعا خارج أطرافي.

أمي؟ إنها...

انتزعتني رنة الهاتف، نظر للمتصل، ترك يدي، بلهفة أجاب، لم يقل إلا:

ـ معقولة دي؟ طبعا! ع الآخر.. ساعة واحدة!

لم أسأل غارقة في ارتباكي.. غيّر طريقه مرة أخرى، يداه على المقود الآن.

توقف..

فوجئت بالمعهد عن شمالي، هبط ضغط دمي، التفت لي مبتسما وأمسك يدي يصافحني، قال:

ـ أسعدتيني، أسعدتيني بشكل مش عارف أوصفه.

شل لساني فلم يحاول حتى الحركة، فضحت عينيّ اللطمات على قلبي، فنظر للشارع وقال:

ـ بتخافي تعدي الشارع؟

حركت رأسي نافية، نزلت شاعرة بما فقد مني، وصلت البيت بصعوبة، سألتني أمي إن كنت بخير، قلت كاذبة:

ـ أيوه.

ولم أجرؤ على النظر في عينيها.. حتى هذه اللحظة.

ورقتان..

رن الهاتف رنة وصول رسالة، قرأت كلماته المحمومة: هاموت! مش قادر استحمل ساعة كمان!

تبتسم بانتصار، ترمي بالهاتف داخل حقيبتها، وتأخذ الحقيبة الأكبر والتي أدخلت فيها بعناية الثوب الأسود الجلدي القصير مع الجوارب الطويلة الشفافة، وقناع القطة! سترقص له.. وتقلبه على النار التي باتت تعد جمرها لأشهر!

حينما واجهها آخر مرة، وقع قلبها في أطراف قدميها، قال كذئب:

ـ بصراحة كده انا مش فاهم، ليه تختاريني من بين كل الرجالة؟ وانا ذكرياتي عندكم في البيت مش ولابد!

ضحكت بصوتها المغوي الجديد وقالت له: آديك قلتها.. عندكم في البيت! وانت شايف ان علاقتنا فيها بيت؟

ـ أنا مش فاهم.. ازاي ماخدتش بالي منك قبل كده؟

ـ ماكانش عندك نظر.

قالت غامزة مقتربة من وجهه، وحينما حاول تقبيلها ابتعدت. نظف حلقه وقال:

ـ وأختك؟ فينها دلوقت؟

ـ أهي اتجوزت وسافرت بره، وفين وفين اما نتقابل على الفايس بوك.

فاجأها وهو يضم يدها ملتاعا:

ـ أنا خلاص، مقابلاتنا وتشاتنا بقى جزء ثابت من حياتي اليومية!

هنا عاد القلب الوجل مكانه، ابتسمت بسعادة، وأخبرته أنها تبادله نفس الهيام، وحينما سألها كمحموم:

ـ طب إمتى بقى؟

أكدت له كما فعلت مرارا.. أنها تخافه وتخاف ألاعيبه. كانت تستثيره بخفة. اليوم أخبرته:

«هاجيلك النهاردة.. إبعتلي المفتاح».

وصلت وأعدت العدة، وارتدت ملابس العاهرات، حتى إذا ما دخل يصيبه الذهول من أول لحظة! وقد كان. منعته الاقتراب، وجلس يتفرج. على الإيقاع الغربي المثير راحت تتلوى بعنفوان، أخذ يبتلع مسكراته العديدة، من حبوب وماء، لأنها أخبرت بشكل قاطع أنه:

ـ مش النهارده! ماتحلمش!

يعرف عنادها، فكر كيف يقذف بهذه الطاقة الحائمة التي تكفي لصهر جبل جليد! ينتحر؟

قام فجأة فأغلق جهاز الأغاني:

ـ لو مش النهارده يبقى ليه؟ خلاص.. نتقابل لما تكوني جاهزة!

انتزعت القناع الجلدي فانفرط شعرها وقالت رافعة كتفها: براحتك!

تحركت بميوعة نحو الغرفة لتغير ملابسها، وهي تغلي! تعلم أن له نابا! عند حلق الباب وجدت ذراعه تسد الطريق، انتفضت من عينيه الشرستين، كان وجهه ينضح بقطرات الملح، قال: إنتي جيتي ليه؟

ـ كنت عاوزة آجي، وكنت فاكراك عايز.

ـ طبعا عايز، لكن مش عشان تشعلقيني وتمشي!

ـ أهُو ده اللي حصل.

ـ مش هاينفع تمشي كده!

ربعت ذراعيها ببرود بينما لو كان واعيا لميز جلدها المدجج من الخوف! قالت: هاتعتدي عليا ولا إيه؟

فجأة سقط على ركبتيه وأمسك يدها بخنوع كسير، قال وعيناه تلمعان ـ أنا بحبك! ماتمشيش، مش عايزك تخرجي من البيت ده! ولا دلوقت ولا بعدين..

ـ أنا ماعرفش اعيش كده! أنا سپور صحيح بس احنا مش لوحدنا على الكوكب!

ـ نتجوز! وحالا! قلتي إيه؟

كادت تصفعه الآن، تغرز أظفارها في عينيه، لكنها تماسكت.. قالت:

ـ إنت فاكرني إيه؟ هبلة هاتضحك عليها بورقة تقطعها بكرة الصبح؟

ـ طب عاوزة إيه؟ أثبتلك ازاي اني مش بخدعك! إنسي صورة زمان! معقول مش حاسة انا قد إيه بقيت متعلق بيكي؟

ـ مؤخر صداق.. محترم! زي أي بنت من صحباتي تحس بقيمتها!

ـ موافق!

مضى على الشيك وعلى الورقتين. بدأت قواه تخور، نظرت مليا لهما، وقالت:

ـ مش مصدقة ان احنا اتجوزنا.. إتجوزنا! والورقتين في إيدي..

لم يجبها بكلمات، كان يلتهمها التهاما، ويصارع رغبة دفينة تزداد جنونا.. للإغماء!

وفجأة فقد السيطرة!

سمع صوت نفسه.. وقع على الأرض لا يدري ما علته! كانت قد طاقت في هذه اللحظات فوق احتمال البشر! راحت تمسح جلدها من أثره بعصبية، اقتربت إليه وداست على عنقه بحذائها اللامع، كانت تبتسم بشراهه وهي تنظر لعينيه الذارفتين ولسانه المشلول، قالت: ماتخافش.. ده شلل مؤقت، بكرة الصبح هاتبقى كويس.. بس ده «لو» قلبك استحمل! لو ماستحملش بقى.. هاتفضل هنا لحد ما تعفن، والجيران يكسروا الباب من ريحتك!

نفرت عروقه وجحظت عيناه، فغيرت موضع كعبها المدبب لصدره: تخيل بقى.. أما تبقى آخرتك كده؟ واليومين دول حَر وإيه ـ ضحكت ـ مش قادرة أشيل صورتك وانت عريان ومزرق ومنفوخ من خيالي.. تتحط على الفايس بوك! ومكتوب تحتها: نهاية المدير الشاب الوسيم!

لم يكن يصدر عنه إلا نظرة تتفجر فزعا!

أمسكت الشيك مبتسمة:

ـ أما الفلوس اللي كتبتها لي، لو صحيت الصبح هتلاقيها مسحوبة من حسابك، بس زايدة صفر، عشان انت شارب وشامم! ولو جدع بقى تبقى تلاقيني!

غيرت ملابسها بعد تشغيل الأغاني التي أطفأها قبل مدة، خرجت تستعد لتركه مستمتعة بعجزه، وقالت قبل أن تخرج:

ـ على فكرة، أختي ماتت من ست شهور، فضلت تقاوم الاكتئاب بعد ما بعتها قبل الفرح بأسبوع، وقعدت تتعالج لمدة سنة! وبعدين الاكتئاب هزمها، عمل لها جلطة دماغية.. زي اللي هاتجيلك كده تمام.. وانت نازل تشرب زي الغبي! فحبيت أطمنك!

أمسكت الورقتين فقطعتهما داخل حقيبتها، وانغلق الباب خلفها بهدوء.

فتنة..

ظلت ترقب البحر ويشدها سحره، في غير استطاعة لمقاومة حلمها.. أن تنعم بهذا العظيم.

لكن، قالوا لها إن من ورائه الشيطان، فظل الحلم حلما، وهي ترقب من بعيد.

حتى جاء يوم، ناداها فيه، موجه الرائق ومياهه المتلألئة، فتنتها فأذهبت عقلها.

هل حقا هناك شيطان؟

وقفت على رماله الناعمة الساطعة، مست شاطئه بأطراف أصابعها، فلم تشعر إلا وهي تقبل في جنون! لا شياطين!
ما ألذ الانغماس في هذا العظيم، ما أجمل الحياة، وما أسوأ الحرمان..
هكذا كانت تفكر قبل أن تنتبه إلى أن مياهه بدأت تدور من حولها.
في لحظة مشئومة، اندلعت من جوفه نقمة، ابتلعتها في عنف لا يرحم!
حاولت وحاولت، وكانت عبثا تبحث عما تتشبث به.
لا جدوى..

صخور تُكسر العظام، وتنهش الجلد، ومياه الملح تفتت لحمها ألما قاتلا بلا توقف!
لفظها العظيم.
تركها على الشاطئ.
ارتمت منتَهكة..
تنزف من كل صوب..
رمال صلبة قاسية من تحتها..
وشمس لاسعة، بلا هوادة تحرق الملح من فوقها..
في نظرة أخيرة لهذا العظيم.
عرفت أن الشيطان حتما كان هناك!

مسكين

سأواجهها.. لقد اتخذت القرار!
أخبرتها بحبي لها نعم، أصبحت جزءا من حياتي أجل. لكنني فجأة ومثل كل

مرة، أتوقف حائرا، لا أعرف.. ماذا تريد مني بالضبط؟
ماذا تريد من علاقتنا؟
كلانا ملتزم ببيت لا يريد تركه، لكنها وافقت أن أصبح جزءا من حياتها، رحبت بميلي لها واستقبلته بميل لي. سألتها لأسكّن حيرتي: هل يخونك؟

سكتت، ضحكت نافية، ثم تلألأت عيناها الجميلتان.

كثيرا ما تحدثني عن الإنسان، وكم أنه مسكين، وكم أن الصراع الذي يعيش فيه عظيم، وأن البدائل أمامه قليلة في الواقع، وأصعب من بعضها. حينما تكون جادة تندفع داخل قلبي، وحينما تضحك تغوص فيه! تتحدث عن أطفالها كثيرا، تحبهم جدا، وحينما يأتي ذكر زوجها، تتحدث عنه كأنه صديقنا الثالث.
أعرف جيدا أين حدودي، ولا أذكر كيف ومتى وضعتْها لي، لكن كيف بحق اللـه تترك الحدود وتتركني في حياتها معا!
كل ذلك لا يمنع أني أشعر بقربي من هذه الحدود أحيانا، وأنني قد أجتازها فجأة ودون خشية أو انتظار.. وهنا تحديدا، أسأل نفسي، ثم ماذا؟ أسأل، إلى أين؟ ولا أجد إجابة.
جربت الابتعاد، مرات، تتركني أفعل ما أرى.
تبكي محطمة دون دموع، وتعبر عن نزفها دون صراخ، يمضي الوقت، أعود إليها أقوى من ذي قبل!
لا أريد تركها، لكني لا أعرف حياة البين بين التي نعيشها معا.

ها قد جاءت، تعجبني، تجذبني، تبتسم في تساؤل عن سبب اللقاء.

أقول وأقول، وأفرغ كل ما في صدري. اتهامي يصعقها، يؤذيها، داهمتني بانكسارها:

ـ لم يكن هناك أسهل من أن أمتعك وأمتع نفسي، الأفكار كثيرة، والكلام أكثر! لكني لم أفعل.
راودتني خواطر شتى تخيلت فيها غزل حُرمت منه. قلت:
ـ رغبتُ في ذلك..
ـ وأنا رغبت.. لكننا لم نُخلق لنفعل ما نرغب.
ـ وبعد؟
أمنع لهفي نحو زخاتها المرتقبة، تبدو مدركة لضرورة هذه المواجهة، وهذه الاعترافات. أسألها:
ـ لماذا تتركينني أبقى في حياتك؟
تقول بنصف ابتسامة قاسية:
ـ ألا تعرف؟ لأنني أدركت في لحظة، أن أمامي بديلا آثما يراودني، رغبتي فيه

تحرقني، سيغرقني في عذابي أبد دهري! رفضت هذا البديل، وليس الرفض سهلا كما تعلم، أحتاج لخطإ أصغر.. يحميني من الخطإ الأكبر.. أنا مجرد إنسان، والصراع عظيم، والإنسان مسكين.

الثانية..

أجل أنا هي.. أنا الثانية.. أنا الخاطفة! أنا التي يسبون، ويلعنون.

سفراته كثيرة، والعيال هموم، وأمهم بهم منشغلة، وأنا وحيدة.
أنا شريكة السفر، الطفلة الكبيرة، وأم وحيدها.

أيام في الشهر.. لا يهم، أجمل أيام حياتي! يشتري لي، يدللني، يريني الدنيا!
الأطفال؟ للحب أصلح لا للأمومة!
أحب دور العاهرة الشرعية، أحب دور الأنثى بمفهوم الرجال، أن يكون جمالي هو رأس مالي. ولا أفهم لم يقع اللوم كله فوق رأسي، وهي إن كانت نِعْمَ المرأة لما دخل شباكي!
سعادتي في شبابي ولياليه، ليس كل الناس سواء!
ضميري يرقص كل مساء معه على آهاتي.
أم العيال؟ يكفيها أن أيامه لها! يكفيها إطار العرس، والجيران.. وبيتها ومطبخها والبنون!

من هي؟ لا تملأ عينه؟ لا تملأ قلبه؟ عقله؟ ما الفرق؟ النتيجة واحدة. ملأتهُ وملأني.
أحبه؟ أجل أحبه، وكنت سأحب غيره.
عددت الابتسامات في حياتي، قررت أن يزدن.. هذا كل شيء.
لم أفعل إلا أن سرقت حقي!

.....
لكن أحدا لم يخبرني.. أنه عني سينشغل، وسيكف عن السفر، وأنني سأعود وحيدة، أعد الباقي من ابتساماتي.

استشارة

سيواجهها غاضبا غضبه الأسود ويفرغ سخطه المفزع! سيحرقها بالنار التي تضطرم الآن في جسده. سيقوم بإذلالها بل وسحقها سحقا! ستولول وتبكي وتركع طالبة العفو.. ولن يعفو!

دخلت الغرفة بوجهها المنير، وقف يواجهها في حالة قاسية من الاتهام!

عرفت الورقة التي بيده، انتظرته ليتكلم، قال متوعدا: إنتي رُحتيله؟

فاجأته ببرود شنيع شل تفكيره، وجلست تصفف شعرها أمام المرآة قائلة: مش الورقة ف إيدك؟

هاله الرد! لكنه لم يُظهر، قال هائجا: ليه؟ انطقي!

ـ عادي.. معاد مريض مع طبيب. وبلاش نرڤزة وصوت عالي.

ـ إنتي فاهمة كويس ان ده مش معاد مريض!

كررت بإصرار: مريض!

فهم منهارا.. ليس أحمقا. جلس، سكت، اسودت الدنيا في عينيه.

قال: وانا؟

قالت هادئة دون النظر نحوه: أنا مش هاسيبك.

قال مرتجا: مش هاقدر استحمل الوضع ده!

قالت ناظرة للأرض: ولا انا قادرة استحمل وضعنا!

ـ انتي في الأربعين!
ـ طب ما تسمع رأي الطب عن الست في الأربعين.
ـ ملعون أبو الطب!
سكتت غير عابئة، قال مهددا:
ـ خلاص! إنتي من طريق وانا من طريق.
ـ لازم نكمل، عشان ابننا.
ـ ملعون أبو أي حد!
ـ يبقى انت اللي اخترت.
نظر إليها ملتاعا: للدرجة دي بايعة؟
أخيرا شعر بتوترها: بالعكس! باقية، زي كل السنين اللي فاتت أنا باقية عليك! لكن الإنسان طاقة...
ـ تقومي تخونيني؟
ـ إنت عارف كويس ان ده مستحيل!
قال ضاغطا على أسنانه: مافيش مستحيل! ثم.. ثم دي الخيانة بالنسبة لي..
قامت واقفة بهدوء: تاني بقولك.. يبقى انت اللي اخترت..
ـ بس انا بحبك!
ـ وانا كمان بحبك! اللي بينا أكبر من كل وأي حاجة. إحنا لينا بيت، وإبن.. مش عند ناس كتير.
قال وقد لمعت عيناه: لو كنتي بتحبيني.. ماكانش ده حصل.
سمعها بحزم: قلت لك أنا بشر! فكر، وخد قرار.
وقبل أن تخرج سمعته: أضمن منين الموضوع مايتطورش؟
بنصف ابتسامة حزينة أجابت: كان اتطّور من خمستاشر سنة!.
تركته وعيناه لا تتركان الورقة، حيث خط يده اللعينة على الروچتة: الاستشارة، بعد ثلاثة أيام!

الرهان

ـ لقد رأيتكما..
ـ وماذا في ذلك؟
سألت المرأة بهدوء، فأجابتها الزوجة بألم وإصرار ـ أقول لك رأيتكما!
تنهدت وأجابتها ـ ماذا رأيتِ؟ أيادي تتعانق؟ أذرعا تتشابك؟ كل ما رأيتِه جلسة بريئة أمام كل الخلق!
ـ لا أنصحك بالتغابي.. أعرف أنك اقتحمت حياته!
ـ عزيزتي.. أنت لا تعرفين شيئا أبدا..
ـ بل أعرف! هروبك منطقي، إنكارك منطقي، ما لا أجده منطقيا هو برودك المزعج!
ـ أخبريني الآن عن شيء واحد فعلته لم يكن من حقي.. راسلته ككل من يراسله، قابلته ككل من يقابله، ماذا جنيت؟
ـ خطفتِ قلبه!
ـ هذا ما تعتقدين؟
ـ قولي لي أنت إذن!
نظرت المرأة في عيني الزوجة وقالت:
ـ قلبه ملك للأنثى التي راهنت قديما على فرس من دون ملامح.. وقد فاز الفرس اليوم، وأخذ الكأس!
تنهدت الزوجة بعصبية وقالت ـ ما أنتِ؟
أجابت بهدوء ـ هذا كلامه، كلامه عنكِ! السؤال هو ما أنتِ! أنتِ أم البنين، أنتِ رفيقة الدرب.. أنا مجرد صديقة!
ـ تقولين إنك لست حبيبة؟
ـ حبيبة منتصف العمر ليست حبيبة! قلت لكِ.. أنت لا تعرفين شيئا أبدا!
ـ ماذا تريدين؟ أن أصدقك فأتركه لكِ؟ تعتقدينني حمقاء؟
ـ أعرف جيدا أنك لست كذلك.. أعرف ذكاءك، بذْلك، حرصك على مملكتك، أعرف أنك الأم.. ولا غنى عنكِ!
ـ ماذا عنكِ؟
ـ أنا؟ (بنصف ابتسامة) مجرد عابرة سبيل.. راهنت على فرس منتصر، لتذوق طعم الانتصار.. ولو مرة في حياتها!
ـ انتصار زائف..
ـ أعرف، أخبرتك، أنت الفائز الأول.. والأخير.

زل-زال

فتحت عينيها إثر الهزات المتتابعات، ثبّتت نظرها لأعلى، إن كان النجف ثابتا فهو الزلزال البائس يحدث بجوارها، يظنها لا تعلم. إن كان النجف متحركا فهو زلزال حقيقي، تتمناه كثيرا في داخلها!

زواج

عرف صاحب محل الـ(لانجيري) أن الفتاة التي كانت تقف طويلا أمام زجاج العرض، قد تزوجت. فبعد أن جاءت واشترت كثيرا، توقفت عن زيارته تماما.

صمت

دخلت بالأكياس تفكر في الفاتورة، سيرهقها الدين. بدأت رأسا ترص الأدراج وتعد الطعام في آن، سمعت بكاء الطفل فأسرعت تلبي مأكله، حممته لينام فشمت احتراق الأكل، أسرعت تلحق ما يمكنها، لم تعد صحتها تحتمل.. سمعته ينادي بصوته الفتيّ من أمام التلفاز: أنا جعت!

نزلت دمعات ساخنات بهدوء، مسحتها وهرولت لتعد المائدة.

شبع هو ونام الطفل، سبقها للغرفة داعيا، تجاهلت إرهاقها، وتجملت في صمت.

سرّي

رن الهاتف، كما توقعت؛ أمي تجيب اتصالا جديدا بخصوص نفس الموضوع، بيت لأحد نسوة العائلة.. سينخرب.

هي تعيد القصة مكسورة الخاطر، تعيد سب الخائن.

رأتني أهم بالخروج، استوقفتني سائلة: على فين؟

ـ نازلة اشم هوا.

ـ لوحدك؟

قلت بنصف ابتسامة: وإيه الجديد؟

أجابت بحزن: إنتي مش حاسة باللي احنا فيه؟

بأسى قلت: وهو انا اقدر أغيره؟

وقبل أن تتابع رن هاتف جديد، تحركتُ وأنا أسمعها: شفتي؟ الخاين، الواطي!

كلهم واطيين!

حينما عدت، كانت البطلة ـ بحالها ـ عندنا وبعض من العائلة، كانت تبكي بلا حرقة لكثرة ما بكت، دون أن تتركها قوتها. سمعتها تقول: الطلاق!

تركتهم ودخلت غرفتي وأنا أفكر.. كيف يعجز المرء عن الحذر!

رأيتها تدخل وتجلس، قالت:

ـ ماحدش قادر يفهمني! إنتي اللي ممكن تحسي بيا.

صمتُ وأنا أنظر لها في حيرة، تابعَت:

ـ إنتي جوزك سايبك ومسافر، وعايشة بطولك، لكن أنا اتغربت معاه لسنين من عمري مع ولادُه! ضحيت بكياني، بعت دهبي واتحملت الغربة، لحد ما نجح وكبر!

ـ الوحدة عذاب..

ـ عذاب كبير! الغربة عذاب والوحدة عذاب والمسؤولية عذاب! رجعت بأولاده عشان تعليمهم، وربيتهم لوحدي! كنت محتاجاله!

ـ كان لازم تخليه يرجع، يكمل معاكي هنا، وكفاية اللي وصلتوا له، اللي حققتوه ماكانش شوية!

ـ مغفلة! آمنت له! قال عشان مستقبل ولاده، وفي الآخر يعرف عليا واحدة ويتجوزها الندل!

ـ الوحدة عذاب..

ـ أيوه! و...

توقفَت، انتبهَت، نظرت لعيني، تعثرت أفكارها ونظراتها معا. قالت: تقصدي إيه؟

أجبت:

ـ إنتي سبتيه وحيد، اسأليني أنا عن معنى الوحدة..

ـ ده يديه الحق انه يتجوز عليا؟

ـ على الأقل، هو لقى شرع يحميه..

ثقبتني عيناها، أصابها صائب في مقتل، ابتلعت ريقها ثم خرجت! أمسكتُ سجائري وأشعلت واحدة.. سألت نفسي.. ترى هل ستكون الوحيدة التي عرفت سري؟

نيـة..

تمسك هاتفها في انتظار أن يرن.. قالوا لها سيتصل بك بعد دقائق، معدتها تئن! تكلم، سمعت صوته الهادئ بعد السلام عليكم:

ـ ما المشكلة؟

أخذت نفسا عميقا ثم قالت:

ـ أنا مقبلة على إثم! ولا أدري ماذا أفعل..

ـ أي نوع من الإثم؟

ـ أنا زوجة.. التقيت رجلا!

ـ مم.. مفهوم.

ـ ألستَ مندهشا؟

ـ كلا، أصبح المتزوجون المتصاحبون أكثر من المراهقين.

صفعتها الكلمة! أخذت جزءا من الثانية ترفض الفكرة، «أنا لست منهم!»، ثم أدركت أنه ببساطة شديدة، هذا ما تنويه فعلا. سمعته:

ـ يجب أن...

ـ لا تقل لي ألا أراه، لأنني سأراه! اطلب مني ما أستطيع.

ـ وماذا تستطيعين؟

ـ لا أعرف، لذلك طلبتك.

ـ كي أعطيكِ رخصة؟

ـ كلا!

تنهدت بتوتر، سألها: كيف عرفتيه؟ صديق، قريب، طبيب، عمل.. أم فايس بوك؟

ـ لا فرق! هو شخص فريد.. واختارني أنا!

ـ ماذا يريد منكِ؟ ألم تسألي نفسك؟

ـ أيضا لا فرق.. لو قال لي أن أرمي بنفسي في البحر لفعلت!

ـ هذا كلام خطير.

ـ أعرف..

ـ بل لا تعرفين.. كم سنُه؟ أربعيني أم قبل ذلك بأعوام؟

ـ وكيف عرفت؟!

ـ سن التمرد غير المحسوب! احذري.. يكون الرجل كموجة عنيفة، لا تعقّل ولا حكمة!

سكتت لا تعرف خيفةً أم فرحة! ربما تتمنى الغرق. شعر بها، قال مُعاجلا:

ـ لو أنك عاقدة ما طلبتني!

تنهدت صامتة، فقال مؤكدا:

ـ زوجك! أولادك! فكري!

ـ ابحث عن وسيلة أخرى.. عشت في حرمان كبير، كثور في طاحونة.. لخدمتهم جميعا. ولم أحلم أن أرى نفسي ولو مرة!
ـ ترى.. هل هو مستعد للتضحية بكل ذلك من أجلك، مثلك؟
ـ قلت لك.. اختارني! قال إني أجمل من رأى..
ـ ليس هذا وعدا بأي شيء! ثمّ ماذا؟
ـ لا يهم!
ـ أنت تغلقين عليّ الأبواب..
ـ لا أريد أن أخدعك، أو أن أخدع نفسي..
ـ الخدعة هو ما أنتِ فيه.. الآن رأسك مسروق.. والقلب ليس حَكما!
ـ لا قدرة لي على المقاومة...
ـ فكري جيدا.. اليوم، أسهل كثيرا من الغد.
ـ لكني أعيش اليوم!
ـ ساعديني كي أساعدكِ..
ـ إن لم أقدر على مساعدة نفسي! ويبدو أنك عاجز مثلي..
ـ إن لم يكن في نيتك بذل، لماذا طلبتني إذن؟
سكتت من جديد، لم تعرف أو يعرف أن السبب أنها فزعة! في الأعماق. سمعت تنهده ثم قوله:
ـ فليرحمنا ويرحمكِ...
أغلقت معه الخط، وسيل من الدموع يجتاح عينيها وقلبها، ثم همسات من السعادة!
بسرعة راحت تطلب الرقم السحري، الآن هي بحاجة للفرح.
أحبطها كثيرا أنه لم يجب، ولم تسمع صوته. نامت تتقلب في أحلامها.
حاولت في الغد.. أيضا لم يجب!
وضعت في رأسها ألف مبرر له..
إلا أن النجم عاد لفضائه..
سقط قلبها بين ألف احتمال.. عدا أنها لن تسمعه مرة أخرى!

رأس مالي..

لا أجد أحدا يرضيني في تزجيج حاجبيّ!

(لفيت الدنيا) كما يقولون، لم أجد من يقدرها حق قدرها! من يتعافى عليها ويأكل بيده نصفها، ومن يمسها من على بعد فتفقد جاذبيتها ويطفو شعثها.

لم لا يفهمون؟ هل هي معجزة؟

تعبت من النصح الخائب، أو الدليل الكاذب.. «مسيو راسو»؟ ذهبت إليه، أمهر من هناك لم يرضني، «عبد الفتاح عبد اللـه»؟ أيضا ذهبت هناك دون جدوى!

أعود لبيتي فأنظر في مرآتي فيصيبني الكمد!

حاجباي هما رأس مالي! أجل، لست حمقاء، أعرف قيمتهما جيدا! فيهما السحر كله والوعد كله. رفعت أحدهما كنصل يمضي أرى بعده دماء الذبح! عيناي من تحتهما قادرتان على الإخضاع والإركاع...

لكن من يُقدر؟ من يفهم؟ من يُلمع الجوهرة كي تسر الناظرين؟

آخر مرة كدت أكسر رأس ذلك الوغد الذي زججهما برعونة، فجعل أحدهما ليس كأخيه! حبست نفسي في البيت لأسبوع قبل أن أقابل الناس من جديد!

وحينما دلوني عليه خفت! في بادئ الأمر خفت. هو فنان مشهور، متخصص في وجوه النجمات والنجوم، يداه تُلفان في الحرير، الكل يؤكد لكن يحذر... شروطه صارمة وأمره نافذ! وإن أنت دخلت بقدميك هناك، فلم يعد لك حق في نفسك! هناك تُخلق الروح، ويرسم الوجه بريشة فنان.. هناك السعر باهظ، والدفع مقدما، ولا رجوع! لا شروط للاسترداد لأنه لا استرداد!

قلت لنفسي: فليكن! ماذا أنتظر؟ قلت لها: لعل هذا الفنان يقدر قيمة الألماس! ولحظتها سأنال السعادة التي طالما حلمت بها ولم أجدها عند أحد.

ذهبت هناك، الباب العالي مهيب خشبي قاتم، حينما اقتربت فُتح على مصراعيه، أضواء ساطعة أعمت عينيّ وزادت رعشتي.. يقولون إنه جزار، لكن بحرفيته تسطع النجوم.. بهرني المكان، الدنيا غير الدنيا والناس غير الناس. أجلسوني أمام مرآة ضخمة وتركوني، على كرسي للملكات صُنع! أعجبني مقامي وهدأت نفسي، رأيتها الملكة التي طالما صدقت بداخلي أني هي!

أخيرا.. أخيرا وجدت من سيعرف كيف يعتني بهما! رأس مالي.

تقدم رجل ذو حاجبين مغرورين ونظرة متعالية وشعر طويل معقوص، نظر في وجهي مليا، هذا هو (الجواهرجي) إذن، ويبدو أنه تاه في الفص الذي رآه. حبست أنفاسي وتركت ذقني لأصابعه، بإشارة صغيرة اقترب اثنان منه، راح يتكلم وهو يشير نحوي كأنه ينظم الشعر.. ثم اختفى!

قلت: ماذا قال؟

قالا: سننزع الحاجبين كليا ونضع لونا لا يزول بالماء يناسب لون بشرتك وشعرك الذي سنصبغه.. وستأتين دوريا لتجديده.

أغمضت عيني وأنا ألهث من فرط الإثارة.. وتركت نفسي لهم تماما...

(ألف شكر لكل رجل في الدنيا لم يترك أنثى لصانع النجوم..)

عيب..

التقتها بعد سنوات طوال!

«كلنا نتغير»، هكذا أجابت حينما قالت لها صديقتها «تغيرتِ».

تفهم ما تعنيه تماما.. تبدو نظرات الناس رائعة، حينما تكون المرأة متأنقة، وطيف ثقة يطل من عينيها.

لكنها لا تعرف قصتها.

لقد عانت كثيرا، وآن لها أن تطعم بعض غزل! عاشت سنوات مع رجل يغازل إناث الأرض إلا هي! ذهب أخيرا وعليها أن تعيش، كلا، ليس بزواج جديد آخر يقيدها ويرهقها ولم تفق بعد من الفشل وضياع العمر.

لا تحب أن تكشف نفسها أمام هذه الإنسانة بالذات.. تلك التي كانت نجمة الفصل! لكم أحبتها، ولكم تمنت مكانها!

ظلت جميلة كما هي، تسألها إن كانت تذكر..

كانتا تحلمان معا بالثوب الأبيض كأي ساذجات حمقاوات، والأماني: وسيم، طويل، يعمل في البترول.

ـ جوزي بيتشغل في البترول فعلا.

ـ إنتي تستاهلي كل خير.

ـ وانتي ولا يهمك، تجربة وعدت!

زفرت ضحكة، وقررت أن تخبرها، فهي سعيدة. لا ترد غمزة، ولا تصد رغبة، توزع نظرات الوعد طوال الوقت مع ابتساماتها. ماذا يضير الكلام؟ هم حائرون فائرون،

وهي تعزز أنوثتها وينعشها الشغف. جميع الرجال غارقون في دوامة ملل الحياة الزوجية! وهي؟ نذرت نفسها لتفرج عن هؤلاء المساكين، ما أجمله من نذر!

ـ بس كده عيب.

ـ ما عيب إلا العيب، هو انا ضربت حد على إيده؟

ـ طول عمرك شقية...

ـ الشقية وقعت في شر أعمالها ودفعت أجمل سنين عمرها تَمن!

ـ طب خلي بالك من نفسك.

ـ ماتقلقيش عليا.

أشارت له بفرحة غامرة ليأتي، وقالت مبتسمة:

ـ أعرفك على صديقة الطفولة وأيام المدرسة.

ظلت جالسة دون حراك، مشدوهة، فاقدة التعبير.. فأمامها أحد الرجال الذين ربطتهم بها غمزة، تحولت لتواصل يومي! شل لسانها، ونغزها شيء.

قامت واقفة فحيتهما على عجل متعللة بأمر وهمي، وفور ما اختلت بنفسها داخل سيارتها، سمعت صوت رسالة منه: «شفتي الصدفة؟»

أرسلت له تقول: «أظن عيب قوي ترجع تبعت لي تاني بعد اللي حصل!»

أرسل لها وجها مندهشا مستنكرا، وكتب: «عيب؟؟؟!!!؟؟؟؟؟!!!».

في كل صباح

في كل صباح أقف أمام المرآة لعشر دقائق، وقت طويل هو في الصباح، أنظر لنفسي.. شعري الذي كان مجنونا أصبح الآن صيحة محبوبة لا تقدر بمال، كتفاي البيضاوان اللتان كانتا نحيفتين لا تسران، هما الآن مثاليتان رشيقتان تعجبان، الصورة على بعضها غريبة وجميلة كأنها ليست أنا!

أبتسم لنفسي في المرآة برقة تأسرني، ثم أضحك بغمزة فيها شقاوة

تأخذني، ثم أمرر لساني على شفتي وأنظر لنفسي نظرة غواية تزلزلني. أمسك قميص نومي من عند خصري وألتف لأرى طول شعري على ظهري، أنفضه بشكل مجنون ثم أظل أضحك حينما أتأكد أني أُعجبني.

كل صباح.. نفس الخطوات! لم يعد ينفع تذمر أمي أو استعجال أبي. أدمنت العادة.. لا أعرف لمَ لا أملّ منها؟

لكن هناك شعورا يزعجني، أتجاهله دوما وأنا أترك وقفتي الصباحية تلك من أمام المرآة لأبدأ في جمع شعري وارتداء ملابسي.. ووضع حجابي.

صرختان..

وصلت الأختان أخيرا لأعلى الصخرة، في هذه الظهيرة من أيام الشتاء لم يكن هناك أحد..

طوال الطريق كانت الكبرى تبكي، والصغرى تحتضن يدها بدفء دون سؤالها الكفّ!

نزلتا خارج السيارة.

الكبرى مطأطئة تتابع البكاء، الصغرى تتجه نحوها وتمسح دموعها.
قالت:
ـ كفاية! كفاية عياط.. يلا.. يلا!
ـ بس اقول ايه؟
ـ قصدك تقولي إيه ولا إيه..
ـ يلا نرجع، بلاش جنان.
ـ مش هنتحرك من هنا قبل ما تقولي! يلا!
ـ مافيش حاجة اقولها..
بصوت متقطع تجيب، والأخرى تمسح السيل المنهمر بثبات دون ملل وهي تقول:
ـ إنتي ماغلطتيش! قولي اللي جواكي.
ـ اللي جوايا حرام!
ـ حرام ماعملتيهوش، فكرتي فيه وماعملتيهوش.
ـ مش من حقي! غصب عني..
ـ كلنا غصب عنا..
بدأت تصيح معترضة:
ـ لأ! لأ!
ـ دي الحقيقة!
ـ أنا باحب واحد متجوز! وبيحب مراته..
ـ أيوه! قولي!
ـ باحب واحد مش من حقي احبه! أب! وعنده منها ولاد.
ـ اصرخي!
صرخت مخفية وجهها المبتل بيديها:
ـ غصب عني.. بحبه!
ـ وهو كمان بيحبك!
سمعت صرخة أختها الصغرى، شهقت صائحة:
ـ واحشني! دايما واحشني!
ـ طلعي اللي جواكي!
ـ نفسي فيه! نفسي جدا! أنا مجرمة! مجرمة!

جثت على ركبتيها تنتحب، فعانقتها الصغرى من ظهرها بذراعين محكمتين ترتجفان، قالت لها بانكسار:

ـ إنتي ست الستات..
ـ ده انا مدرسة! باعلّم البنات!
ـ ظروفك صعبة..

ـ كلنا عندنا مبرر للإثم!
تعاظم نحيبها واشتد العناق، قالت لها أخيرا برفق:
ـ بس انتي ما أثمتيش يا حبيبتي..
ـ بأثم لما أفكر فيه.. واتخيل نفسي معاه، وهو مش حلالي وملك غيري.
ـ ده مش إثم! الإثم فعل..
ـ منا مش هادمر بيته، ولا هو! مش هايدمر بيته، وانا عارفة ومش قادرة اسيبه!
ـ عادت للصياح ـ شفتي الفعل؟ شفتيه؟! إوعي تقعي زيي، خليكي أحسن مني. انتي لسا عندك فرصة..
ـ ماتقسيش على نفسك.
ـ سامحني يا رب! بس هيسامحني ازاي؟
ـ هيسامحك! لأنه كريم.. مش ده كلامك؟
لم يكن بوسعها منع دموعها هي الأخرى، انخلع قلبها مع قلب أختها، افترشتا الأرض تماما الآن تتباكيان، دون رادع.
سمعتها بصوت معتصر:
ـ قولي لي أعمل ايه؟
ـ ربنا يحلها من عنده.
ظلتا تنزفان الدمع في نفس العناق، حتى هدأتا..

نظرتا لبعضهما، وبينما أفسد الكحل وجهيهما، ولمع المخاط تحت الأنوف.. انخرطتا فجأة في الضحك، وكل منهما تمسح وجه الأخرى.
ركبتا السيارة، وعانقتها يد الصغرى..
ـ أحسن دلوقت؟
ـ بكتير..
ـ طب تحبي نرجع نكمل؟
ضحكتا من جديد، وبدأتا تتكلمان عن الحفلة المدرسية القادمة.

الشك..

أصبح في يديها عصبية مزمنة، نظرتُ لها لا أعرف بالضبط هل أشعر نحوها بالشفقة.. أم بالشماتة.

شيء رائع دون شك أن يقع في حبِك رجل وسيم، يثير حوله اقتتالات!

شيء بالغ الروعة أن يختارك، أن يصبح لكِ. لكن السؤال ما أنتِ؟ من يقتتل لأجلك؟ لأنه إن لم يكن هناك أحد، إن كنتِ مجرد «شخص».. ستدور الدوائر، وتقف أمامك صديقة عمر، كانت حاسدة يوما، لكنها الآن في حيرة بين الإشفاق والشماتة.

أغلقت الهاتف بعد مكالمة تحقيق طويلة مع أحدهم.

قالت لي: شفتي؟ ماكانش لوحدُه! ويا عالم..

ـ ماتصدقيش كل اللي بتسمعيه!

لن تجيبني، ربما لم تسمعني، طلبتْ رقما جديدا في توتر، أحاطت عينيها هالات سود. سمعتها من بين دخان سجائرها تلقي التحية، ثم يبدأ سيل تحقيق جديد.

سقوط

فتح الباب وابتسمت شفتاه من خلف السيجار، دخلت بعصبية نحو الصالون، أغلق الباب وذهب خلفها.

ـ أنا جاية عشان أقول لك حاجة واحدة بس! إنك غلط! أيوه غلط! روح التمرد الصح لازم تكون ضد شيء هدام.. شيء باطل! التمرد على المسلمات اللي بتمس العقيدة.. سقوط!

لم ينفعل بالغضب كما ظنت، ابتسم بهدوء، ونزع السيجار من فمه وقال:

ـ ومن مسلماتك انك تيجي لواحد عازب بيته؟

ـ أنا ماقعدتش! أنا ماشية حالا!

ـ على ما أتذكر، أنا قلت لك تخرجيني من حياتك اللي مافيهاش حد شبهي، وتنسيني...

ـ أنا كان لازم أواجهك! أنا.. أنا..

وفجأة خانتها نفسها فانخرطت في البكاء، اقترب متعاطفا نحوها، أمسك ذراعها لكنها سرعان ما نفضته عنها بعنف قائلة:

ـ أنا مصدومة فيك! مصدومة! إنت كنت مثلي الأعلى!

ـ إنت ليه عندك مشكلة مع الرغبة؟ كل غلطتي اني عاوزك؟

ـ لأ! ماعنديش مشكلة مع الرغبة، ما دام معاها حب، وما دام من حقي!

ـ مانتي عارفة اني بحبك، ليه بقى مش من حقك ما دمتي إنسانة وليكي مشاعر؟

ـ عشان حرام! حرام!. معقول؟ إنت ازاي كده؟

تململ بعينيه وفمه مما سمع، قال:

ـ تاني بسألك جاية ليه؟ عاوزة إيه؟ ـ نفث من سيجاره ـ خلاص، قلتي لي ان انا ساقط.. وانك مصدومة فيا.

أحرقها برودة، أشعل تعقلها فانطلق تاركا رأسها، دفعته على صدره بيديها قائلة تجز على أسنانها:

ـ أيوه ساقط ومنحط!

أمسك أعصابه مطفئا سيجاره وقد بدأ يغضب، قال متنهدا:

ـ متشكر..

نظرت حولها كثور ينزف، وراحت تطيح بكل ما يعترضها مُصدرة أنات مغلولة أعلى من صوت الكسر، أمسكها من مرفقيها موقفا حركتها بعنف، وقال بحزم:

ـ كان ممكن تشيليني من حياتك خالص، كان ممكن تفشي غلك في التليفون، لكن انتي جيتي لي لحد عندي، عارفة ليه؟ أقول لك انا ليه.

كانت تعرف حينما تركت نفسها بين يد مجتاحة وفم راغب، أن ذلك هو ما تمنته

بحرقة وظلت تحلم به لليال طوال، وكانت تعرف أيضا في هذه الساعة، من الذي سقط..

إنـذار..

لا يدري متى وكيف.. لكنه ما حدث.
كان دوما ما يقول إنه شخص سعيد، وكان سعيدا!
لم تكن هناك اهتمامات مشتركة بينهما، لكن الطبع كان واحدا.
ثم مهلا، من كان الأسعد لتوليها مهام البيت والأولاد بشكل منقطع الشبه؟ إنه هو!
كان كل شيء على ما يرام حتى ظهرت.. ربما!
ماذا أعجبه فيها؟ أنها لم تكن يائسة رغم عنوستها؟ أنها ناجحة ومشهود بجدارتها؟
أو ربما لأنها دوما ما تجد ما يقولانه معا ـ لا يدري كيف؟ـ.. أم لأنها رأت فيه الرجل؟
لكنه يعرف أنه رجل.. «راجل ونص كمان».
مضى الوقت وهو ينفصل من هنا ويتعلق هناك دون أن يدري..
دون أي إنذار.. هوى.
كل ما يخص الأنوثة لم يعد يخص زوجته!
إذا ما سمع ضحكة تذكرها هي، إذا ما أعجبه معطف، حذاء، عقد.. تخيلها هي، إذا ما أغمض عينيه لينال قسطا من لذة الغيبوبة القصيرة المتعمدة وسط النهار.. كانت هي البطلة.
رائحتها دوما في أنفه، وابتسامتها دوما في عينه.. لقد صُدم فجأة أنه فقد

السيطرة!
في الحلال في الحرام يريد هذه المرأة.
ذهبا لمكان لقائهما البعيد على ضفاف النهر، صارحها بكل ما يدور في خاطره:
أحبك وأريدك، لكن لا طاقة لي بفتح بيتين، ثم إنني أخشى أن ينهدم ما بنيت، لكنني لا أستطيع الاستغناء عنكِ.. فماذا ترين!
قالت بهدوء:
ـ نتجوز في السر.. أنا معايا شقتي، ومرتبي كبير، مش محتاجة فلوس.
صدمه حديثها، لكنها أعجبته من جديد، تأكد أن الدهشة كانت جزئية، فقد تمنى ما سمع في أعماقه.
ـ أنا كده أناني بشكل غبي!
ـ أنا عايزة اعيش حياة المتجوزين قبل ما أعجز!
ـ إنتي ست ناجحة وحلوة..
ـ مفهوم، وماحدش عارف القطر فاتني ليه ولا حتى انا!
ـ يمكن عشان انتي أكمل من تصور الراجل العادي..
ـ يمكن، بس انت مش راجل عادي.. نبقى متفقين.
ـ بس.. هانعملها ازاي؟
ـ أهلي فاهمين وضعي، مأذون جوه بيتنا، وكده كده أنا عايشة لوحدي.
ـ مش هاقدر أقابلك أكتر من يوم في الأسبوع...
تلألأت عيناها، قالت بهدوء مبتسمة:
ـ أحسن من مافيش!
ـ خايف، بعد شوية تقوليلي حقي، وماحدش هايلومك وقتها.
ـ كان ممكن طبعا تخاف ويكون خوفك ده منطقي، مش في حالة اني هاكمل أربعين بعد تلات سنين!
ـ خايف تكوني هاتتجوزيني يأس..
ـ فعلا هاتفرق؟
نظر مليا لها، عيناها الجادتان المدركتان ماهية الحياة، شفتاها السكريتان، ووجهها التائق الجذاب، يستصرخه فيقذف بعقله بعيدا..
أمسك يدها، اعتصر أصابعها، ورفعها ليلثمها بشوق وتمنٍ:
ـ بكرة هاكون عند أهلك.

الاختبار..

جميع الجالسين يتمنون النجاح في الاختبار.
الوظيفة رائعة والمرتب مُغرٍ، لكن ما يقلق هو المواصفات المطلوبة، فكل ما كُتب ليس شرطا لأي شيء!
جاء دورها ودخلت، جلست أمام اللجنة.
تبدو عادية بشكل كبير.
ملامحها عادية، ملابسها عادية، حتى نظرتها المعتدلة بلا توسل ولا ثقة.
رأت كل ذلك في جباههم، حاولت تزويق الأجوبة، لم تستطع.. ماذا يتوقع أي مخلوق من أُم عاملة؟ لها زوج مطحون بهمّ الرزق؟ بالطبع لا وقت لتصنُع الرفاهية ولا تأليف الأغنيات. كادحة تتمنى تصفيف شعرها عند محال التصفيف لكن لا وقت، وهناك دائما ما هو أولى!
سألوها معلنين أنه السؤال الأخير: ماذا لو وجدتِ طاقية (الإخفاء)، وأصبحتِ غير مرئية؟
قالت بعيون تلمع ـ كثير!
بدأت بعض حماسة تعلو الوجوه: مثل ماذا؟
ـ سأمشي حافية داخل المولات، وأرتدي كل الأثواب اللامعة المكشوفة، سأركب كل ملاهي الأطفال! سأرقص في الحدائق، سأغني بأعلى صوت، سأقفز! سأجري في الشوارع! وأتسلق تماثيل الميادين.. كثير!
نحو الرغبات المنسكبة نظروا صامتين، ثم سألوها: أتعيسة أنتِ؟
قالت بنفس الروح ـ أبدا! ليس للتعساء قدرة على الأحلام الجميلة...
بعد أسبوع وبعد أن أرسلوا لها بالقبول، سألتهم عن السبب، قالوا:
ـ من كان مطلوبا لأداء الوظيفة، شخص يعرف كيف يكون سعيدا.

التابع

جالسة أمام طاولة الزينة، تفكر..
هل تبلغه؟ هل تقدر؟
طبعا تتمنى أن ترضيه، لكن ليس على حساب... كل شيء!
منذ أن أصبح زوجها نجما وهي تعاني بشكل خاص.
نظرت في المرآة.. طبعا هي حلوة، بل أجمل بكثير الآن، لكن...
نظرت للطرحة الملقاة على السرير، هل ستستطيع مواجهة الناس من دونها؟ مواجهة الاستنكار واللوم؟
كيف تواجههم وهي عاجزة عن مواجهة نفسها؟
ليست راضية، ولا سعيدة.
قامت وأعدت ملابسها التي اعتادت، والطرحة طبعا.
راحت تلملم شعرها.
ستخبره!
لا يحق له أن يضغط عليها، أن يجبرها!
خرجت وذهبت لغرفة مكتبه.
تسيطر على رعشة أصابعها، وتروض ترددها بنجاح.
تفتح الباب بهدوء.. تسمعه.. ضحكته الرائقة التي تزلزل القلوب، صوته الرخيم يحدّث إحدى المعجبات، يغازلها، لكنه يسميها مجاملة.. لو اعترضت سيحدثها طويلا عن النجم والجمهور..
انسحبت بهدوء كما أقبلت، وأمام مرآتها ارتمت، أعادت فرد شعرها، وصبغت وجهها بألوان باهرة،
سمعته يدخل سائلا إياها:
ـ جهزتي يا روحي؟
ـ آه..
ينظر نحوها صائحا منبهرا، ويسبقها للسيارة، تبتسم.. وتتبعه.

السؤال السحري

تجمع ثلاثتنا في انتظارها، تتملكنا حالة يصعب وصفها من الشغف. قالت كبرانا:
ـ بقولكم إيه؟ امسكوا نفسكم أحسن نتفضح!
ـ إحنا عملنا إيه يعني؟
قلتُ معترضة على التعليق، فراحت صغرانا تذكرني بأنها صديقة قديمة، وقد تشعر بتدخلنا في حياتها، وقد تنزعج، ونفقد كل خيط في الحصول على إجابة السؤال...
تماسكتُ، وكتمت تأففي حينما ظهرت من بعيد، اقتربت مبتسمة وحيتنا وجلست. أحاديث مملة تلك التي يسمونها مقدمات واجبة! قلت لها مباغتة: بس أكيد الطلاق ماكانش قرار سهل!
ـ ممكن، بس انا أخدته عن اقتناع تام.
ـ هو كان وحش للدرجة دي؟
حدجتني أختي الكبرى بتأنيب، فقالت صديقتها:
ـ أبدا، كان عادي.. أنا اللي ماكنتش مبسوطة، وقررت اني أتحرر قبل ما أجيب أولاد!
ـ عين العقل!
قالت صغرانا ثم سألتها أين ولدها الآن، وانتحى الحوار منحى الأمومة ومشكلاتها، كل منا تدلي بدلوها! تنهدت كبرانا بخيبة أمل حينما نظرت صديقتها للساعة! فقالت صغرانا مسرعة:
ـ طيب، وجوزك التاني.. كويس؟
ـ الحمد للـه ـ بابتسامة ـ الحياة شغالة.
ـ أكيد فيه مشاكل زي أي بيت.
ـ أكيد!
ـ لكن الواحد أوقات مابيحتملش الحياة.
قلت:
ـ فعلا، بيفضل يفكر لو كان فيه أفضل.
ضحكت الصديقة وقالت:
ـ ده تفكير مش هيوصل لحاجة! لأنه ممكن يستمر طول العمر!
ـ طيب الـ...
قاطعتني واقفة فجأة تعتذر، لأنها ستسافر الليلة مع ابنها عائدة لزوجها.
تركتنا مودعة دون أن تروي ظمأنا، نظرنا نحوها مبتئسين، لم تجب إحدانا على رنات زوجها، يأكلنا معا ذاك السؤال الذي سيبيت فوق رؤوسنا يدق بقدميه من دون إجابة..
كيف هو الزواج برجل آخر؟

ثلاثة شبابيك

أمامها الآن ثلاثة شبابيك مفتوحة، متوهجة.. أغلقتها جميعا.

تحركت لاستقباله، اتضح أن معه أمه، حيتهما بضحكة كبيرة، وقبلتها وقبلت يدها. قال:

ـ كنتي بتعملي إيه؟

ـ كنت بانظم لك درج المكتب زي ما أمرت.

ابتسم هو وأمه وجلسا، مد ساقيه، ركعت على الأرض لتخلع حذاءه، وتضعه في مكانه. أخذت چاكت البذلة لتعلقه، ثم عادت بنعليه المريحين بين يديها تقول:

ـ ثانية واحدة، الغدا يكون جاهز.

وانطلقت نحو المطبخ.

على المائدة، لمّحت الأم لتمنيها كوب شاي، تركت الزوجة الملعقة من يدها لتلبي الطلب على الفور، وعادت لترفع الأطباق.

حينما اختليا قالت الأم لابنها:

ـ شفت بقى الست اللي تقدر راجلها وبيتها، سمعت كلامي؟ مش تقولي واحدة من بتوع اليومين دول.. وكياني وأبصر إيه..

ـ في دي عندك حق! اللـه يلعن الإنترنت واللي عمله فعقول البنات!

ـ مريحاك يا حبيبي؟

ـ مابتنزلش تجيب حبة ملح من غير إذني، كل الشبابيك بتقفلها لوحدها.

ـ ماشاء اللـه، أم جدعة ـ وضعت يدها على صدرها ـ وراجل بصحيح.

شربا الشاي وأكلوا معا الكيك «البيتي»، أثنت الأم طويلا وكانت الزوجة تبتسم بسعادة. أقسمت عليها أن تنام مكانها في الغرفة الواسعة. ناما سريعا، غطتهما، وأطفأت النور. اتجهت للغرفة، قامت بتشغيل الجهاز، ووجدت الشبابيك في انتظارها، ثلاثة شبابيك بثلاثة أسماء مختلفة، الأول يكرر دون ملل:

«ها؟ ليه لأ؟ انتي مش واثقة فيا؟ ماينفعش علاقتنا تستمر شهور من غير ما نتقابل! قلتي إيه؟».

الثاني، شبّاكه مليء بقلوب حمراء وورود من كل لون، وكلمات تقول:

«بجد مش باهزر ولا باجامل، بجد مش عارف ازاي أخدت عليكي بسرعة كده، بجد ارتحت لك كإني أعرفك من سنين.. بجد سعيد انك قبلتي صداقتي، متهيألي.. متهيألي اني حبيتك!».

أما الثالث فأكبرهم، ليس موظفا ولا طالبا، مدير في شركة ـ هذا إن صدق! ـ يكتب:

«أنا مستعد اقول لك انتي لابسة إيه دلوقت بالتفصيل، بس إيه بقى تكون جايزتي؟ جايزة تكون قد شطارتي، اللي أقوله صح، أشوفه!».
تنهدت مبتسمة، تفكر أيهم تختار لتجيب عليه أولا.

الدّيْن..

«آه لو أن هناك ما يمكن أن يمحو الذاكرة، لكننا كأننا نؤتى بجلد جديد ليحترق وينسلخ مرارا كلما تذكرنا.»

فكرتْ وهي ملتاعة، ثم جال شكله بخيالها.. شكله يضحك، يعاتبها، يغاضبها، يغازلها...

«لو أني فقط تركته وقتما شعرت بالخطر وأحسست منه التمادي!
لو أنها فقط لم تعثر على دليل إدانتي بيدها!
لو لم تكن بيننا سنوات عمر قضيناها معا!.
لو، لو، لا مكان لها»

تنهدتْ معذبة..

«انتظرتُ لأشهر، والل-ه وحده يعلم كيف مرت..
كم حلمت أني أبكي بين يديها، عند قدميها، فلتغفري..
ضعُفت!
لم يكن مقصدي أن أسرق رجُلُك.. كنت أبحث عن دواء لوحدتي! ووجدته أمامي.»

لمحتْها وقد أوقفت سيارتها، ثم خرجت منها، استجمعت شجاعتها.

«ماذا يمكن أن يحدث أكثر مما حدث؟
لو أنها ستقتلني لأراحتني من حياة عارية!
الدّيْن يُعرّي..
ما أقبح أن نعيش مع عرينا غير مستورين. لكن ماذا سأقول لها؟».

ـ انتي؟
ـ ممكن تسمعيني؟ حقي تديني دقيقة!
ـ مالكيش حق عندي!
ـ مش قادرة اعيش حياتي..
ـ آخر حاجة تهمني هي حياتك.
ـ أكفر عن ذنبي ازاي؟
ـ مش كل الذنوب ينفع تتكفر.
ـ على الأقل سامحيني!
ـ لو رجعتلي الثقة ف أي مخلوق تاني، ممكن أسامحك ساعتها.

لكن ما حدث، أنها وجدت نفسها تمسكها من ذراعها كي تلتفت إليها:

ـ انتي؟
ـ متهيألي شتمتي بما فيه الكفاية، وأخدتي حقك وزيادة؟
ـ هو انا لسه أخدت حاجة؟
ـ أنا مش مدينة ليكي خلاص! أنا سكت وسبتك تهينيني، وقطعت معاه تماما، ماقابلتوش ولا مرة واحدة من ساعتها.
ـ فعلا؟ ـ ضحكت ساخرة ـ كتر خيرك واللـه، ده مش بمزاجك!
ـ طبعا كتر خيري، كان ممكن نكمل تاني من ورا ضهرك! أو حتى بمعرفتك! لكن كل اللي انا فكرت فيه وعشت معاه الفترة اللي فاتت.. هو انتي!
انمحت السخرية وحلت دهشة غاضبة، نظرت مليا في العينين فلم تجد ذاك الانكسار الذي تملكهما حينما سمعت ورأت بنفسها دليل إدانتها منذ أشهر! وجدت شيئا آخر لم تفهمه.
ـ إنتي عاوزة إيه؟
ـ لازم تعرفي ان كل الناس ممكن تضعف وممكن تغلط!
ـ أنا عمري ما غلطت!
ـ يمكن ماغلطيش غلطي، لكن غلطتي غلط تاني خلاكي تستاهلي الخسارة.
مرت برهة قبل أن تقول:
ـ سيبيني ف حالي، سيبينا ف حالنا!
ـ لازم تفهمي.. اتصرفي مع الموضوع بعقل.

ـ بلاش تنسي ان روحك في إيدي؟
ـ لو كنتي ناوية تئذيني كنتي أذيتيني من زمان..
ـ إنتي عاوزة إيه؟
ـ تسامحيني!
ـ ليه؟ خوف ولا ذنب؟
ـ ماتسأليش، السماح بيكون من غير شرط.
ـ مستحيل أسامحك! ماتستهليش..
ـ أنا جيتلك لحد عندك.
ـ فعلا غريبة..
ـ خليكي أحسن مني.
ـ أنا أحسن منك من الأول!
ـ طيب كملي جميلك..

سكتت، وقفت حائرة للحظات، ربما تصدقها فيها، تحركت من أمامها، دون النظرة التي كانت عليها..

تشعر ببعض ارتياح الآن، ويداعبها أمل الوصول للبغية.

تسألها عن السبب.. «ليه؟ خوف ولا ذنب؟»، لن تفهم أبدا.. ما أبشع أن تكون مدينا لأحد.. وما أروع التخفف من الدّين.

الحفل

ليلة الحفل كانت من أجمل الليالي، أن يحتفي بك الناس ويقدروك حق قدرك، لهو شيء بالغ الروعة! فكر وهو يتناول عشاءه أمام التلفاز. نظر لزوجته التي تشاهد الفيلم، هي نعمة أخرى من النعم التي استحقها. هادئة وديعة، لا غيرة من تلك أو طلبات كهؤلاء، لا يحمل همها أبدا بعد أي حفل.

في اليوم التالي وبينما راح يشاهد الصور، انقرص قلبه.. هل زاد وزنه لهذه الدرجة؟ أم هي إضاءة الصور؟ أم الزحام؟ أم المكان؟ ركبه غمّ ما وهو يملي النظر لشكله، تعاظم كرشه، وازدادت الكسرات حول صدره وإبطيه! في الحقيقة لم يعد وسيما.

أغلق ملف الصور متنهدا، في الواقع شيء آخر أصابه بالكدر، زوجته.. زوجته التي فقدت قسطا كبيرا من وزنها، وكانت تبدو أجملهن في الصور!

فتح الملف مرة أخرى ليرقبها في كل صورة، وهذا الثوب.. كيف لم يلحظ كمّ الغواية الذي يبعثه في الناظرين؟ وعيناها، عيناها ليستا اللتين يعرفهما.. تبدوان مدركتان سعيدتان بمن حولها.

جاء الساعي بالإفطار اليومي، فردّه به رافضا أن يتناوله.

فتح الشبكة العنكبوتية ليبحث عن أسرع طرق لفقدان الوزن، وحدثها على الهاتف ليخبرها أنه يفضل غداءا خفيفا.

عاد للمنزل وتناول الغداء في صمت. لم يجبها عن استفهامها لسبب ضيقه.

جاء المساء، كانت معدته تصرخ، وبخلاف الجوع كان يشتهي شيئا دسما!

شهيته اعتلته، تحرك نحو المطبخ وأعد أصنافا كثيرة، وجاء بها أمام التلفاز، سمعها:

ـ الل-ه! أمال اشمعنى طلبت غدا خفيف؟

ـ أنا حر!

ـ طيب، براحتك.

ـ طبعا مش هتاكلي معايا!

ـ مانت عارف اني مابتعشاش.

ـ منا لازم كل حاجة اعملها لوحدي! أروح بقى اتجوز واحدة تشاركني اللي بحبه!

ـ إيه لزوم الغضب؟ والكلام التقيل ده؟

ـ هي دي الحقيقة! أنا ولا على بالك، انت مش مهتمة تشاركيني، مش فاكراني أصلا!

ـ كل ده عشان مش بتعشى؟

ـ والفستان بتاع امبارح ده جبتيه إمتى؟ وماخدتيش رأيي فيه ليه؟

ـ دي مش أول مرة البسه!

ـ كده كده مش هايتلبس تاني! آديني بقول لك أهو!
ـ فيه إيه؟ حصل ايه؟
ـ ولا أي حاجة! راجل وبيدير بيته، وعلى فكرة، أنا مش عاوزك تقبلي أي عزومة تاني من حد!
ـ من إمتى؟
ـ خلاص، مابقاش عندي خلق للتجمعات دي، الناس مابيجيش من وراها غير الحسد والبلاوي!
ظلت تتذمر وتسأله، استطاع أن يغلبها حتى قامت منتفضة لتنام وهي غاضبة، رفع أطباقه للحوض، وعاد بعلبة (أيس كريم) ليحلي.

غلطة..

«جميلة الجميلات.. من كان يصدق؟»

فكرت في نفسها التي هانت عليها، فنزل الدمع، مسحته بسرعة كي لا تفسد مساحيق وجهها، فقد اقتربت من مكان مقابلة العمل الجديدة. مر شهر كامل وهي تذهب لمقابلات عمل، دون جدوى.. منذ أن صفّت شركتها الكبيرة كل الموظفين بعد الأزمة الأخيرة وهي تبحث.
لا بد أن تجد عملا، لأن البيت لا يمكن أن يستمر بأب وأم عاطلين!
كلما تذكرت طفلها الذي ستضطر لإخراجه من مدرسته لمدرسة أصغر وأضعف ترشيدا للنفقات، عادت الدموع وغزت عينيها من جديد.
من يصدق ما آلت إليه؟ كانت تلك الجميلة التي تنبأ الكل لها بقصر وحاشية، وملك الملوك!
وصلت للشركة، نظرت لها ولفخامتها راجيةً داعية أن تُقبل.
مهما كانت الشروط ومهما كانت ساعات العمل ستوافق! لا بديل..
أنهت المقابلة وخرجت متوترة، سمعت اسمها فالتفتت للصوت الذي بدأت

تميزه، وقف أمامها ببذلته الأنيقة وشعره القصير وقد ازداد جاذبية.
ـ فاكراني؟
طبعا تذكره، واحد من الرجال الكثيرين الذين أحبوها وتمنوها، لكنها كانت كملكة وهو مجرد حارس! والحب وحده قطعا لا يكفي. سريعا تذكرت الكل وهم ينصحونها بعد أن عرفوا كيف يهيم الفتى بحبها:
ـ إوعي تفكري فيه! إنتي تستاهلي سيد سيده!
ـ مستحيل طبعا!

مدت يدها لتصافحه مندهشة، ظل ممسكا بيدها بحنين سائلا ـ عاملة إيه؟ عاملة إيه؟
تقول الكلمات المعتادة وتحاول الضحك، تسأله عما يفعل، يجيبها بأنه أحد مديري الشركة، يدعوها لمكتبه لشرب القهوة، تفاجأ بحجم مكتبه، تخبره في ارتباك أنها كانت هنا لمقابلة، يعدها بتعزيز موقفها، يدخل السائق ليأخذ مفتاحه فيجهز سيارته للرحيل:
ـ تحبي أوصلك؟
ترفض بابتسامة، تقوم مودعة.
تركب سيارتها وتعود للبيت مغمورة في القهر، هناك، تجد زوجها بنفس جلسته التي تركته عليها في الصباح، أمام التلفاز، يقول ببرود ـ عملتي إيه؟ هايتصلوا بيكي ولا زي كل مرة!
لا تجيبه، تنخرط في بكاء فجائي، يقول ـ آه.. الفيلم هايبتدي!
تتوقف بحرقة، تسمعه يتابع ـ أنا عارف ان انا كمان مش لاقي شغل، بس دي مش غلطتي يعني.
نظرت له هنا، فهي تعرف غلطة من هي.

الدرس..

منذ خمسة أشهر، كانت مشاعري مختلفة تماما، كانت مزيجا مُهلكا من الغضب لما حدث، ومن الخذلان لأنني أنا من فعلت ما حدث، وأسوأها.. مشاعر الضآلة، لأنني كُشفت أمام أقرب الناس إليّ!
كان هناك بعض ذنب، وكثير من الضيق أيضا.
اليوم لا أدري.. اختلفت مشاعري!

حينها طلبَت الطلاق ـ وكنت أعرف أنها ليست جادة ـ قالت كلمة لم أعِ وزنها في حينها، أني لن أحتملها بعد اليوم، فحريّ بها أن تتركني قبل أن أتركها.
كل همي كان استرضاؤها والغلق بإحكام على هذا الموقف.. لكني اليوم.. لا أدري!

دخلتُ البيت بخطوات بطيئة، أفكر في أول سبب يدعوني لمعاودة النزول، رحب بي الأولاد وتعشينا معا.
كان ذلك ليسعدني كثيرا فيما مضى، لا أشعر بشيء الآن!
ناموا وجلستُ أتصفح الجرائد، سمعتُ رسالة وكانت من شريكي بشأن موعد جديد للعمل، لم أعد متحمسا كما عهدني.
جلستْ بجانبي، لم أطو الجريدة، ما تريده ستقوله، سمعتها تقول بنفس عصبيتها:
ـ الرسالة دي من مين؟
تنهدت بنفاد صبر وطمأنتها أنها من شريكي، فأمسكت هاتفي تتأكد مثلما تفعل كثيرا، لكنني ثُرت فجأة فنزعته منها بعنف وقلت بعصبية:
ـ لأ! لأ! خلاص أنا قلت شريكي! أنا مش عاجبني ان ماليش خصوصية!
ـ منا اديتك خصوصية، عملت بيها إيه؟ خنتني!
ـ بلاش كلام كبير ينرفز!
ـ اللي حصل بالنسبة لي خيانة! وهو خيانة.
ـ خلاص.
رفعت يديّ، أمسكت أعصابي لأنهي الموقف، ومددت يدي بالهاتف لكنها لم تأخذه، جلسنا مجددا وبدأ هواء الغرفة ينفد.
قمت واقفا أقول إني نسيت شيئا في السيارة، قالت بعد أن استوقفتني:
ـ إنت مالك النهارده؟ انت رجعت تكلمها؟!
ـ لأ! واللـه لأ! ماكلمناش بعض من ساعتها! بس انا اتخنقت! خلاص لازم تصدقيني، الحياة كده مستحيلة!
ـ منا كنت باصدقك..

ـ انتهينا! مشكلة وخلصت! أنا اتعلمت الدرس، إنتي كمان لازم تفهمي الدرس. ماينفعش نخلي حياتنا جحيم!

ـ كاني أنا السبب!

ـ لأ، أنا السبب! بس خلاص، اعترفتلك بغلطي وندمت، ساعديني نرجع زي ما كنا! شكك وثقتك الضايعة مش هايفيدوا.. فكري كويس.. لو عايز اعمل حاجة من وراكي هاعمل! مش حذرك اللي بيمنعني، قراري اللي مانعني.. أنا فعلا عاوز نعدي الموقف ده.. ساعديني.

كالعادة، كأنها لا تسمعني، قالت:

ـ ماتنساش انك حتى لو نويت تغلط تاني.. ربنا هيخليني أكشفك تاني!

أمسكتُ معطفي واتجهت للباب بعصبية وأنا أخبرها أني سأتأخر، قالت بسرعة:

ـ احلف انك مش رايح تشوفها؟

عند الباب نظرت لها. قلت بيأس:

ـ ولو حلفت، هتصدقيني؟

سكتت وسمعتْ صفعة الباب.

تمت

حكايتي مع القصة القصيرة طويلة!

حينما بدأت محاولات الكتابة ـ مثل كثيرين ـ كنت بالضبط في الصف الثاني الإعدادي.. كتبت الرواية والمقال، لكني لم أكتبها.. ولم أفكر لماذا..

حينما وقعت في هوى الأدب، كان على يد العظيم الحبيب «يوسف إدريس»،

وقصصه القصيرة، ذبت فيه وفيها، وظللت أحلم أني سألتقيه ـ مثلما يحدث مع كاتب كتاب يرهقك ـ إلى أن اكشفت وفاته!

بدأت في كتابة القصة القصيرة، وكنت في كل مرة أكتب أشعر بالسعادة لأنني قضيت على تهيبي وخضت في غمارها، وبعد الفرح، ينتابني ضيق.. فليس هذا هو ما أحببته في القصة القصيرة! وليس هذا ما أسرني فيها.

تخيل أن تعشق أحدا لكنك لا تلفت نظره ولو من بعيد؟ هذا ما حدث معي والقصة القصيرة بالضبط!

هذا الكيان بالنسبة لي كرصاصة! إما أن تصيبك.. وإما أن تنطلق في الهواء فلا ينالك إلا دوي مزعج..

هي في صناعتها أسهل من الرواية، أما أن تخرجها مؤثرة، نافذة، فهي أصعب بكثير...

أخيرا ملأني بعض رضا...

وجدت نفسي في هذا النوع.. لا التي تبدو كمعالجة سينمائية أو رواية صغيرة أعجبتني، ولا الغموض الذي لا ينفع القارئ ولا يترك أي أثر أعجبني! أعجبني أنها فن التساؤل، وأنت لا يمكنك أن تتساءل وأنت لا تفهم.

وعليّ أن أعترف، أنني رغم كسر الجليد والخوض، ما زلت أشعر بهيبتها وضغطها على كياني، فقد أدركت تماما كم هي قادرة على الفتك!

سارة البدري

شكر خاص..

للعظيم **يوسف إدريس** الغائب الحاضر دوما..
الشخص الذي أحببت منه الأدب، وعشقت وقدست القصة القصيرة على يديه.

للصديق **شريف ثابت**..

فلولا دعمه وسنده، لما خرجت هذه المجموعة ـ أصلا ـ للنور!

المحتويات

رة رضا 9
حظوظ 11
ل حب! 13
خ 15
وحة 17
ناقشة 21
ماعة واحدة 25
ماعتان 27
سفورة 29
من (1) 31
من (2) 33
ور العين 35
ي.. 39
ل 41

.... 45

ض مشروع 47

ام 51

قتان.. 55

ة.. 59

كين 61

نية.. 63

تشارة 65

هان 67

ال (ق. ق. ج) 69

ج (ق. ق. ج) 71

ت (ق. ق. ج) 73

رّي 75

.. .. 77

س مالي.. 81

ب.. 83

ي كل صباح 85

ختان.. 87

سك.. 91

غوط 93

ار.. 95

تبار.. 99

بع 101

سؤال السحري 103

ة شبابيك 105

ئن.. 107

فل 111

طة.. 113

رس.. 115
حكايتي مع القصة القصيرة طويلة! 119